أحمد رجب شلتوت

زوال

روايـة

ألف ياء
Alf Yaa

زوال

منشورات «الف باء AlfYaa»

المؤلف: أحمد رجب شلتوت
الكتاب: ''زوال'' (رواية)
صدرت النسخة الرقمية: تشرين الثاني/نوفمبر 2026
الطبعة الأولى 2003

- **الناشر: «ألف ياء AlfYaa»**
- **الموقع الإلكتروني:** www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub وMobi و/أو أي تنسيق رقمي آخر) محفوظة لـ**«ألف ياءAlfYaa»**
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبّر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
«ألف ياء AlfYaa» ناشرة للكتاب فقط وهي غير مسؤولة عن محتوى الكتاب

- **تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداوود**

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

أحمد رجب شلتوت

زوال

رواية

الرواية الفائزة في مسابقة

جمعية الأدباء عام 2004

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

إلى فجر أثِق في طلوعه
رغم سطوة العتمة

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

" كيف بي أطمح إلى ترميم الخراب، وأنا الطلل"

من رواية ''باب تازة'' لعبدالقادر الشاوى

" إنهم يقولون إن الوقت يمر مر السحاب، ولكن للأسف ليس هو الوقت الذي يمر، بل نحن الذين نمر "

روفسار

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(1)

"المصعد معطل"...

واجهتني اللافتة، اضطرتني لصعود الطوابق الخمس على قدمي. يعلو صوت لهاثي فيخفت في أذني صوت ارتطام العكاز بدرجات السلم. توقفت أمام الباب المقصود، التقطت أنفاسي ورممت هندامي بعدما أتلفه الصعود، قبل أن أضغط زر الجرس، ولما فتح الباب واجهتني عيناها، أدهشني اتساعهما، طلاء شفتيها كان بلون الكركديه الذي شربت منه نهرا ليساعد على خفض ضغط دمى مفرط الارتفاع.

****

" كانت سعاد تطلى شفتيها بنفس اللون، فيزيدها إثارة.

قبل الخطوبة لم أر على وجهها أي أثر لأدوات التجميل، ففي قريتنا لم يكن من حق الفتاة أن تتجمل بغير الكحل إلى أن يطرق بابها خاطب، وتظل متمتعة بحق التجمل إلى أن تضع مولودها

منشورات «ألف باء AlfYaa»

الأول، تصبح بعدئذ في عداد العجائز، وليس في مقدورها التجمل إلا عند المناسبات أو في السر."

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(2)

حرارة ترحيب المدير أفعمتني بالأمل، حدثني وهو يرشف قهوته عن الفارق بين العمل في صحيفة قاهرية حتى لو لم تكن يومية أو قومية، والعمل في مكتب يقدم خدماته لعدد غير قليل من الصحف العربية.

نفث دخان سيجارته ثم رشف من الفنجان، انتبهت إلى إنه يمسك بالسيجارة وبالفنجان معا، كل بيد، يأخذ من كل منهما بالتعاقب.

أعاد حديثه عن الفوارق مؤكدا أنها تزداد اتساعا في حالة مكتب مثل مكتبه، فهو يتعامل مع صحف تصدر في أكثر من نصف العواصم العربية، نبهني إلى أن ذلك يتطلب ذكاء خاصا حتى يفلح في تلمس القواسم المشتركة بين الجميع وأيضا المناطق المحايدة بينهم، فهي وحدها تصبح مجال العمل حتى ينشر نفس الموضوع في أكثر من عاصمة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

وقبل أن يصحبني للتعرف على زملائي الجدد توقف وكأنه تذكر فجأة شيئا هاما:

- لماذا استقلت من وظيفتك الحكومية؟

- لأني لم أحبها

- لا أحد يفعل ذلك

- .....

- لكنك فعلت

- .....

- يبدو أنك مختلف عن الآخرين

****

قادني باتجاه غرفة المحررين، قبل أن نخطو داخلها توقف ليهمس في أذني:

- لا يفعل الإنسان كل ما يحب، وقد لا يستطيع أن يفعل بعض ما يحب، بل يفعل دائما ما يجب عليه فعله.

- قد لا يفعل ما يحب، لكن يجب ألا يفعل ما يكره

- ليس دائما، صدقني يا عزيزي ليس دائما.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(3)

عرفني المدير بالزملاء الجدد، اختصرني في جملة:

- الأستاذ علاء الدين زميلكم الجديد.

هزوا رؤوسهم لتحيتي، أشار المدير إلى مكتب شاغر في عمق الحجرة:

- مكتبك يا علاء هو ذلك الشاغر إلى جوار مكتب آسر، هذا هو البدين، أنظر إليه جيدا، أليس شبيها بالفنان جورج سيدهم في شبابه، لكن بصراحة وأقولها في وشه ليس له خفة دم جورج.

قالها وهو يضحك وحده، ثم واصل:

- أما بقية الزملاء من اليمين إلى اليسار، ربنا يجعلنا من أهل اليمين ويكفينا شر اليسار، فهم: فايز وشريف وعبدالله، أصبحتم خمسة رجال، سادستكم سعاد.

****

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

" كم أكره الرقم ستة، والمكعبات بأوجهها الستة، والمسدسات، والنجمة السداسية، الشهر السادس الخانق اللعين يونيو"

****

أطال المدير الحديث عن الزملاء ومناقبهم، وامتدح في شخصي ما لم يعرفه بعد، مختتما كلامه بالتأكيد على فراسته، وأن حسن حظه بي يرجع لأن الأقدار جمعت في مكتبه ستة من المبدعين أخذتهم الصحافة من الشعر والسرد.

بعدها انصرف عائدا إلى مكتبه بينما ترن في أذني جملته: "أخذتهم الصحافة من الشعر والسرد" فأصابني وجوم.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(4)

صاح شريف ساخرا:

- إسمعوا يا جماعة، إسمعوا وعوا، أيسر يقول كلاما مهما.

نظر أليه آسر شزرا ولم ينطق. عدلت سعاد غطاء رأسها وهى تقول:

- آسر بيزعل من تهريجك يا شريف، وخصوصا أما تحرف إسمه

ضحك فايز:

- أنا اللي بدأت الكلام، قلت أوافق إليوت على ما قاله في الأرض الخراب عن شهر إبريل وإنه أشد شهور السنة قسوة.

نظر إليه آسر، خلع نظارته، دعك عينيه كل بيد، شد نفسا عميقا أنهى به السيجارة ، ضغط جبهته بيديه وهو ينفث دخان آخر نفس من سيجارته، ثم هرس العقب بغضب في المطفأة الزجاجية المستديرة، أمسك بالقلم، نقر به على تمثال أسود

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

صغير للكاتب المصري قبل أن يخط ما يقول على ورقة ملأى بالشخبطة:

- أعزائي، أخبركم أنني لست متأكدا من نسبة هذه المقولة لإليوت، وسواء كان هو القائل أم شخص آخر جهله فايز، فاعلموا أن القائل لم يكن منصفا، على الأقل لم يكن دقيقا، فليس إبريل وحده أشد شهور السنة قسوة، أعزائي خلاصة تجربتي في الحياة تقول إن كل شهور السنة هي أشد شهور السنة قسوة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(5)

سعاد الثانية لا تشبه سعاد الأولى سوى في اسمرار بشرتيهما، وفي عدم استخدام أدوات التجميل، الثانية أكثر نحافة تصمت كثيرا وتضحك كثيرا، غالبا لا تعلق على ما يثار حولها إلا بضحكة، كل موضوعاتها الصحفية عن مشاكل الأسرة والطفل، وتمنح أطباء النفس مساحات دائمة في صفحاتها، أما قصائدها فلا تلقيها علينا في العلن، تأتي بالنص مكتوبا بخط حاولت أن تجعله جميلا، وتدس الورقة في يد أحدنا وكأنها سر تخصه به، تطلب أن يقرأه وحده فلما ينتهي تسترد نصها لتدسه في يد الذي يليه.

تعدل غطاء رأسها وتعقب على سخرية شريف بتكرار واقعة طردها من المجلة النسائية القومية، فرئيسة التحرير علمانية سافرة تكره الحجاب وكل ما يغطى الرأس، وقد خيرتها بوضوح بين الاستمرار معها في المجلة أو الاستمرار في تغطية شعرها. تؤكد أن قرارها لم يكن انحيازا لغطاء الرأس بل انتصارا لحق

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

شخصي انتهكته رئيسة التحرير المستبدة.

يكرر شريف لومه لها وبنفس الكلمات:

- كان مفروض تاخديها على جنب وتشيلى الإيشارب وانت بتحلفى لها انك قرعة مش متطرفة.

****

"سعاد الأولى شقيقة لشخص كان صديقي، صداقتنا كانت تدفعه لتوجيه النصح لي دائما، واللوم أحيانا، لم يمل تذكيرى بمخاطر فوات قطار العمر، وبأن فرصتى في اختيار شريكة الحياة المناسبة تتضاءل كلما اجتاز القطار محطة."

****

أعادت سعاد الثانية التأكيد على أن مسألة الحجاب أو السفور أمر شخصي، والقرار فيه ليس من سلطات رئيس التحرير، فاختارت الحجاب من باب العند بعدما كان من باب العادة. كان ذلك قبل الزواج أما الآن فهو حل وسط توصلت إله بعد جدل شديد مع زوج أراد أن يفرض عليها النقاب.

****

"بادرني صديقي شقيق سعاد الأولى:

- إسمعني كويس يا علاء!

- سامعك كويس يا حنفى.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

- أهل زمان لم يكذبوا حينما قالوا في أمثالهم، اخطب لابنتك ولا تخطب لابنك، وعملا بهذا المثل قررت أن أخطب لأختي.

- وأنا مالي بقرارك؟

- لقد اخترتك انت يا صاحبي عريسا لأختي، أنتما أغلى الناس بالنسبة لي فقررت أن أقدم كل منكما هدية مني للآخر".

****

تشاركنا سعاد الثانية الضحك ثم تهمس لنفسها بصوت سمعناه جميعا بأغنية لمحمد منير فيسعل آسر قبل أن يضحك متسائلا:

- حد فيكم عنده ترجمة لمسرحية يوجين يونسكو ومازالت المغنية الصلعاء صلعاء.

تنظر سعاد لآسر ضاحكة قبل أن تصيح:

- فاهمة قصدك يا غلس، والله إنت الأصلع والأقرع وكمان أيسر على رأى شريف.

****

" كنت قد فقدت ضحى وجربت إنكسار القلب، وأيقنت بأن الحب سيظل عندي مجرد ذكرى، فأنى للقلب المكلوم أن يفتح بواباته لعشق جديد وقد صدأتها سنون التشرنق.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

وكنت أتوق لمكان أغلقه على نفسي وكتبي
وأوراقي، في بيت الأسرة لم يكن لدى مثل هذا
المكان الذي يحتويني، فكرت بأن الزواج قد يتيحه
لي، وقد تكون سعاد زوجة مناسبة، لا أريد منها أو
من سواها إلا لحظات متعة، وولد يعوضني عن
طفولتي التي فقدتها بين حجرات المستشفيات
والحبس القهري في البيت، بسبب الساق الملفوفة
دوما بلفائف الجبس، وسوف يكون شرطي الوحيد الذي لا تنازل عنه ألا تقتحم على خلوتي، أن تتركني لكتبي وأوراقي حتى أخرج دون استدعاء.

****

سعاد الثانية تغيب كثيرا عن المكتب، في كل مرة تبرر الغياب بشيء حدث لطفلتها، تمرض الطفلة كثيرا رغم تأكيدات سعاد الثانية بأنها لا تهملها، أرجعت غيابها الأخير لقيام الطفلة بغمر يسراها في طبق الشوربة الساخن فحملتها جارية إلى الطبيب الذي دهن الكف الصغيرة غير مبال بصراخها، ثم لفها بلفافات تفكها في اليوم مرتين لتكرر لها الدهان، شريف يسألها عن الكف المصابة فتفهم سعاد مغزى السؤال، تضحك وتحاول تقليد صوت المدير مكررة لازمته:

- ربنا يجعلنا من أهل اليمين ويكفينا شر اليسار

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

****

طال صمتي فخاف صديقي أن أرفض عرضه، أكد
على أن من حقي أن أرى العروس، وأن أمعن التفكير
قبل الرد، تبعته إلى بيت أبيه. فتحت لنا الباب.
كان ثوبها المنزلي الخفيف مبلولا، شكت من أعطال
الغسالة ومن إصرار أبيها الشيخ على عدم شراء غسالة
جديدة. شدني التصاق الثوب المبلول بجسدها، أعجبتني إبتسامتها
وهي تشكو، فقلت لأخيها بعدما شربت الشاي :
- موافق ".

****

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(6)

السكرتيرة لا تغير لون طلاء الشفاه، ذلك يعجبني كثيرا، فأنا عاشق لهذا اللون الذي يشبه لون الكركديه، أعشق أيضا أتساع عينيها وشدة سواد الحدقتين، أما تلك الفرجة بين سنتيها الأماميتين، ولثغتها المثيرة في حرف السين، فيزيدان من اشتهائي لها. أسمها سندس، وحينما تقولها "ثندث" أذوب وأتمنى التهام شفتيها.

كنت أظن أسم سندس حكرا على بنات الغجر، ثمة غجر قليلون استوطنوا قريتنا، كانوا يأتون سنويا وأنا طفل، دائما مع قدوم الصيف، يضربون خيامهم ويقيمون أياما، قد تطول إقامتهم لأسابيع، أهلنا منعونا من الاقتراب من مضارب الغجر، يخافون علينا منهم، وكانوا يملأون عيونهم من نساء الغجر خصوصا سندس التي وصفوها بأنها " فاكهة صيفية".

****

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

نسوة الغجر كن يدرن في طرقات القرية ودروبها،
يطرقن الأبواب لقراءة البخت وضرب الودع، كلهن
يرددن نفس النداء:
- أبين زين أبين ، وأضرب الودع وأشوف
لم تقل أي منهن عن الذي تشوفه إلا لمن يدفع، كن
يتفنن في مد الواو قبل التسكين الفجائي لفاء أشوف.
فيشعلن أشواق الرجال وخوف النساء".

****

أناديها "تندث" فتعلو ضحكتها، أفتعل حديثا لأسمع صوتها لكن صلصلة الجرس تدفعها للسكوت ثم الهرولة باتجاه مكتب المدير.

****

" نسوة قريتنا كن شغوفات بمعرفة ما يقول الودع،
كن يستدعين الغجريات، يجلسن الواحدة منهن
فتنزل من فوق رأسها الوعاء المجدول من
خوص النخيل، تفتح منديلها وتفرشه أمام
القروية. تقبض الغجرية حفنة من رمل تحمله
فى الوعاء، تنثر الحفنة فوق المنديل، تغمض

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

عينيها وهى تنطق كلمات بلغة غريبة وتخط
بأصابعها خطوطا عشوائية، ترسم مسارات رملية
فوق المنديل، وحينما تفتح عينيها تتنهد
مستعيدة لغتها المفهومة لدى القرويات، وتخبرهن
بأسرار كشفها الودع" .
ورغم ذلك فإن نسوة قريتنا رأين الغجريات سارقات
للدجاج والبط، وخاطفات للأطفال، مغويات للرجال.
أما الرجال فكانوا يندبون الحظ لأنهم ليسوا غجرا،
فهم يكدحون في الحقول منذ الفجر وحتى الغروب
مقابل قروش زهيدة بينما رجال الغجر ينامون لما
بعد الظهيرة، تاركين نسوتهم لجلب الرزق، وفى
صحوهم لا يفعلون إلا تدخين الحشيش ومضاجعة
النساء" .

****

اسم سندس كان يتردد بينهم كثيرا ، وكأن كل نسائهم لهن اسم سندس، لكن " ثندث" مختلفة، فهي تلبس الجينز البواح بحدود الفتنة التي يحتويها، أو الجوب القصيرة الكاشفة عن غواية فخذيها، ودائما تدع زرار البلوزة العلوي مفتوحا، فتهرب منى عيناي، تختبئان عند مفرق النهدين، أغفل عنهما ، أود لو

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

تركتهما مختبئتين، ألا أستردهما أبدا، فلعل نزقا يصيبهما فيتسللان هابطين إلى ما تحت السرة. جرس المدير يجلجل فجأة، يفزعهما ويردهما خائبين غير قادرين على التوغل في أحراش ثندث.

****

"رأينا رجال الغجر صاحين في النهار، يسيرون في جماعات، أحدهم ينفخ فتخرج من فمه النار، وآخر عاري الظهر والصدر، نراه يرقد فوق لوح خشبي تطل من مسامه أسنان المسامير، ويتقدم منه رجل بدين يحمل طبلا كبيرا، يرقص واقفا فوق الراقد، ويظل يقرع الطبل مثيرا الإعجاب والصخب، فكنت أضحك وأصفق، وحينما ينهض الراقد، نراه يدور حول نفسه ولا نرى أثرا لمسمار في ظهره، فكنا نعود للتصفيق مدهوشين ونجود عن طيب خاطر بقروشنا، نلقى بها في صندوق يمسكه غجري عجوز بيد وبالأخرى يهز الشخاليل فيحدث أصواتا تبهجنا".

كانوا مبهرين بما قدموا من حيل وألاعيب سحرية، أحببتهم فلم أخشاهم ولم أصدق ما كان يقال عنهم".

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(7)

فايز يدخن كثيرا، يشكو من صداع دائم، وطنين لا يغادر أذنيه، سألني وهو ينفث دخانه ويضغط جبهته بكلتا يديه:

- شفت سندس بتعيط؟

- أيوة شفت ثندث بتعيط وصعبت على جدا

- ليه؟

- لأنها غلبانة.

- لأنها عاجباك

- ....

لزمت الصمت، فلما طال انتظاره لرد لن يأتيه واصل قائلا:

- عموما سؤالى عن عياطها.

- طالبها المدير بعدم الانصراف قبل أن ينتهي من إرسال كافة رسائل اليوم.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- عادى.. ده شغلها.

- قالت إن شغل النهاردة كتير وممكن يأخرها لأكثر من ساعتين بعد معادها

- برضه عادي

- خايفة من جوزها ممكن يضربها

- ما تصدقهاش يا عم ... دي هى اللى بتضربه.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(8)

سأل المدير عن عدد الموضوعات التي أنجزها كل منا خلال الأسبوع، رأى العدد قليلا فغضب، أخرج من جيبه الجرس وظل يقرعه بعنف مستدعيا ثندث التي أتت مهرولة، عيناه توغلتا داخل الجوب البني الضيقة القصيرة، عنفها لتأخرها في تلبية نداء الجرس، أكد على أن حضورها بعد رنة الجرس الثالثة يستوجب العقاب، اعتذرت بأنها كانت تجرى اتصالا هاما كلفها هو به.

فجأة تبدلت لهجته:

- سعاد غايبة من يومين

- إبنتها مريضة

- إتصلى بها، إن ردت أخبريها بأن تحضر غدا أو لا تحضر أبدا.

- وإن لم ترد

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- في هذه الحالة نعتبرها ماتت

رن الجرس معلنا انتهاء الاجتماع، نهض المدير وهو يعدل بنطلونه، يشده من الحزام رافعا لأعلى، سبقته ثندث إلى الباب، سأل شريف:

- باعتبارك أقدم واحد هنا يا فايز إيه رأيك في حكاية الجرس دي؟

تجاهل فايز السؤال، خلع نظارته، مسح عينيه بمنديل ثم بصق فيه وألقى به في السلة، كرر شريف السؤال وأصر فايز على تجاهله، فتحدث أيسر:

- يعني واخد بالك من الجرس وما لاحظتش تكرار شد البنطلون لفوق

ابتسم فايز ونظر باتجاهي متسائلا:

- هل رأيتم اللافتات التي تملأ الدنيا؟

رد شريف وهو يدخن فاختلطت حروفه بدخان سيجارته:

- موسم بقى كل سنة وإنت طيب، مولد سيدك الانتخابي، قدس الله سره.

لم يأبه فايز بالسخرية، واصل كلامه:

- القماش المهدر على اللافتات يمكن أن يكسو نصف العراة في هذا البلد. أما الورق الذي يلطخ كل الحوائط فيكفى لطباعة كتبنا التي تعفنت في الأدراج.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

شاركته:

- أكثر ما يغيظني ذلك العجوز الواقف في الصور مادا يده تجاه جملة "معا إلى المستقبل" فأي مستقبل يقودنا إليه رجل جاوز التسعين.

نطق آسر بعد صمت غير معتاد:

- القبر طبعا.

انتقد كل منا صورة، اتفقنا على أنهم جميعا يقودوننا باتجاه نفق مظلم، لم يفلت شريف فرصة الكلام:

- النفق المظلم تقودكم إليه ثرثرتكم عديمة الفائدة، يا قوم أفهموا مغزى سؤال أبوجلجل عن عدد الموضوعات.

نبهنا شريف إلى أننا تجاوزنا الحد والوقت المسموح بهما. قال فايز:

- شريف أكثر واحد يكتب في مصر. يده لا تصبر على فراق القلم، يجرى حوارات، يؤلف حوادث، يفبرك حكايات وأخبار، هو في المكتب مثل المتصوف، له في كل يوم ورد كتابي يملأ به رزمة ورق أبيض. لا يهم فيم يكتب؟ المهم ما يتحصل عليه آخر الشهر.

بهت شريف، حدق في فايز لثوان وقبل أن ينطق أتانا رنين الجرس، فعاد شريف لما يكتب وهو يحذرنا هامسا:

- أبو جلجل ينبهكم، يقول نحن هنا

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

تضاحك آسر:

- قل أبو الوفا ... أبو الوفا

فضحكنا متذكرين أبو الوفا الذي أنهى حضوره غناء سلامة في الفيلم الشهير.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(9)

"في شهر يونيو قبل صيفين أعلنت خطبتي على سعاد الأولى، بدت في زينتها جميلة ومثيرة، وددت لو أرشف شفتيها، كانتا مكمن الإثارة فيها، أهلها لم يتيحوا لنا فرصة لنختلي، ظللنا محاصرين لنحو شهرين. لم يخففوا الحصار إلا بعد أن بدا عليها التململ.

لاحظت أنها تتعمد أن تتأخر في الظهور حين حضوري، تدس ابتسامتها مع طلاء الشفاة تحت وسادتها قبل أن تخرج لي. تجردها من الزينة زاد من اسمرارها، وحرمان شفتيها من لون

الكركديه أفقدهما ما كان لهما من وهج، أما استمرار التكشيرة فدفعني لأخيها، صارحته بملاحظاتي وشكوكي، نفي مذكرا بما فعلته يوم الخطوبة، عيناها التمعتا بفرح أسكرها، فزغردت

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

كثيرا وأنا أحيط إصبعها بالدبلة.

لم يكذبني، أقسم بأن أسبابا لا تخصني أدت إلى ما لاحظت.

فانتظرت أن تعود لسابق عهدها، فلما لم تعد واجهتها في حضور أبيها:

- لو كنت قد تراجعت عن موقفك مني أبلغيني

لأفسخ الخطبة، لست مرغمة على شيء، وأنا لا أقبل العيش مع امرأة لا تريدني.

رد أبوها:

- صدقني أنا شيخ الجامع ولا أكذب، ولا تنس أنك حفظت القرآن هنا وعلى يدي.

- أصدقك يا عمى

- لم يضغط عليها أحد للموافقة على الزواج منك، اختارتك بمطلق حريتها وإرادتها.

- سؤالي عن اليوم وليس الأمس.

- هما سواء

- لاحظت ما يؤكد تراجعها.

- موافقتها لم يمض عليها أكثر من شهرين، ولم يحدث ما يدفعها لتغيير رأيها، فلا تدع الشيطان يوسوس لك بما يسوءك ويؤرقك.

****

منشورات «ألف باء AlfYaa»

تمنيت أن يكون صادقا، استشرت صديقا، نصحني بأن أهديها ما يرقق قلبها، وفى الأسبوع التالي - كعادة قريتنا مع المخطوبين كنت أزورها يوم الخميس من كل أسبوع- لم أخلف موعدي.

فوجئت برفع الحصار عنا، انفردت بها، ابتسمت لأول مرة منذ أسابيع أسلمتني يدها لأضع الخاتم في إصبعها. تحسست إصبعها فابتسمت، ضممتها مقبلا شفتيها لأول مرة، فردت القبلة بأحسن منها، زادت قوة ضمتي لها وقسوة التهامي لشفتيها، ولا أدرى لماذا قلت لنفسي بأنهما شفتان مثاليتان لمومس".

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(10)

يومان غابهما آسر، وفى الثالث حضر.

رأيناه مصفر الوجه شاحبا، استدعاه المدير برنة جرس سبقت دخول ثندث، أراه قرار الفصل غير الموقع، تريث حتى انتهاء اليوم الثالث، أقسم آسر بأن غيبوبة سكر كادت أن تقتله، وتسببت في غيابه.

في حجرة المحررين لام نفسه لأنه لم يعمل بنصيحة الطبيب النفسي، هو أحد مصادر سعاد الثانية التي ضحكت وهي تقول:

- أكيد نصحك بألا تكتم انفعالاتك، قال لك ابصق على كل مالا يعجبك.

أكمل آسر:

- وكل من لا يعجبك، (شد نفسا عميقا فتوهجت السيجارة) وهذا بالتحديد ما أحتاجه، قال أيضا افعل ما تحب وكن نفسك.

عقب شريف :

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- المصيبة إنك سمعتها كل نفسك فزاد وزنك وأصابك السكر

قلت مهونا:

- كلنا مرضى

فانفعل فايز:

- نعم كلنا مرضى، ولن يشفينا جميعا إلا اعتزال تحسين الخط، فما نفعله شيء غير الصحافة، نحن نكتب كثيرا من أجل تحسين الخط.

أرادت سعاد تهدئته فعرضت أن تغلي له شوية ينسون، رفض، واقترح آسر عليه أن يقرأ لنا قصيدة "هذا مساء الجوع"*، فرفض أيضا، كانت أحب قصائد فايز إلى نفسه، وكان آسر يحفظها، فبدأ الترتيل:

هذا مساء الجوع

لن تجدي مكائدنا البريئة

أو سعال الشاردين

على رصيف الماء

لن يجدي اشتعال الحلم في نرجيلة المقهى

سوف تمنحنا العصافير انتحارا رائعا

ومسافة قصوى من الفردوس

* القصيدة للصديق الشاعر شرف عبدالحميد عقبي

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

سوف تنسحب الوجوه

إلى شواهد صمتها

دون انفجار غامض

أو طعنة عشواء فوق برودة البانيو

سيعلق المملوك راية خيله

وطنا

على جسد التماثيل اللقيطة

قاطعه فايز بانفعال:

- كفاية يا آسر، أرجوك كفاية، لا تكمل القصيدة، قبلت الإهانة على نفسي بالعمل مع أبى جلجل، ولن أهين شعري بترديده في مكان يخصه.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(11)

قرأت عليهم أقصوصة كتبتها لأعلن لنفسي أنى برئت من سعاد الأولى، سعاد الثانية سرحت مني فطلبت أن أعيد القراءة، آسر صفق إعجابا أما شريف فرأى أنى لم أبرأ بعد.

شاركه فايز الرأي:

- لو كنت برئت لما جعلت منها في القصة دودة، مازالت موجوعا، فكتبت لتنتقم منها بتحويلها إلى دودة، ظننت أنك تثأر لنفسك فكشفت عن جرحك، لكن يا عزيزي يجب أن تعلم أن الفن ليس من وسائل إدراك الثأر.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(12)

فى المكتب لا تكف الأجراس عن الرنين. في كل لحظة يرن أحدها: الباب، التليفون، الساعات المعلقة على كل الحوائط، والأسوأ والأكثر إزعاجا ذلك الجرس اللعين بيد المدير.

رنين الأجراس المتواصل يصيبنا بالقرف والتوتر.

قال آسر:

- لو كنت مسيحيا لما دخلت الكنيسة فأجراس المكتب تكفيني.

نفخ فايز دخان غيظه:

- هذا المكان دفعني لكراهية كل أجراس الدنيا أكثر من كراهيتي لهذا المدير أبو جلجل.

***

"أنا أيضا أكره الأجراس. رنينها يرتبط عندي بالحريق والموت. يذكرني بكاميليا التي أكلتها النار. كانت أجمل

منشورات «ألف باء AlfYaa»

البنات. والدها زنون كان ثرثارًا لا يقدر على الصمت. كنا نسميه " زنان". أوضح لي أبى أن اسم الرجل "زنون" تحريف لإسم "ذوالنون". إسم صاحب الحوت النبي يونس عليه السلام. كلما رأيته أتذكر ابنته كاميليا، لم أكن أراها إلا فى الغروب لحظتها تكون عائدة من الحقل، شعثاء متربة لكن جمالها لا يفقد قدرته على جذب الأنظار. يغطى على شعثها وشقائها. ينسون ذلك ويذكرون العود الفارع والخدين الأحمرين.

أهل القرية لا يدعون بناتهم يعملن بالحقول. فالحقل في عقيدتهم فقط لبنات الغرباء. يعتبرون الحقل عيبا وعارا، يتقولون على العاملات أجيرات في الحقول.لا أعرف كيف وهم الفلاحون منذ أجداد الأجداد؟الأم في القرية حينما تنهي ابنتها عن فعل شيىء تعتبره عيبا تقول لها:

- عيب .. هذا لا تفعله إلا الغيطانية.

تقصد التي تعمل بالغيط أو الحقل. وكاميليا كانت غيطانية.

جاء أبوها إلى قريتنا باحثا عن عمل. تلقفه الحاج عطوة، يصحبه على العربة الكارو كل فجر قاصدين المدينة غير البعيدة.العربة الكارو تكون محملة بأوعية ملؤها اللبن الحليب، يجرها حمار لأكثر

من ساعتين. بينما الحاج عطوة نائم مطمئن لمعرفة الحمار بالطريق.وبعد الوصول يكافئ الحمار بفك وثاقه، يمنحه

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

علوين (حزمتين) برسيم ليشبع، بينما زنون يحمل الأوعية، يصعد

سلالم، ويهبط سلالم.يوزع اللبن على شقق المدينة.النسوة تفتحن له الأبواب وهن أنصاف نائمات، يراهن بثياب النوم، يسيل لعابه مجترا حكايات سمعها عن نسوة المدينة وشوقهن لفحولة رجال القرى. يمنى نفسه بإحداهن، لكن المدينة لم تمنحه واحدة من نسائها، منحته فتنة مختلفة. فقد عرف السينما، سحرته الخيالات المتحركة. يرى الفيلم الواحد مرات ومرات، وفى القرية يحكى ما رآه لمن يصطفى، ولا ينام قبل أن يستحضر طيفي كاميليا وهند رستم، بينهما ينام على الحصير، وقبل الفجر بساعة يصحو على صيحات الحاج عطوة تدعوه للخروج إلى المدينة."

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(13)

سبعة أسابيع قضيتها في ضيافة قريبي، لم يجل بخاطري أن يستغرق البحث عن حجرة فوق سطح لكل هذه المدة من البحث. وجدت قريبي ينتظرني بشوق ليزف لي البشارة:

- وجدتها، وجدتها..

- أخيرا

- الحجرة فوق سطح بيت في شارع الرشيدي، ليس بعيدا عنا، ولا عن مكان عملك. يا دوب تمشى ربع ساعة من هنا إلى جورنالك.

هززت رأسي مبتسما، فأعاد كلامه مضيفا إلى مزايا الحجرة، وشارحا للطريق منها إلى العمل:

- البيت مش عالي يا دوب أربعة طوابق بالأرضي، والحمد لله السلم مريح جدا، درجاته مش عالية. واحد حبيبي هو من أرشدني إليها، ربنا عالم بحالك، صعود درجات السلم لن يتعبك،

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

والحجرة بها حمام خاص، من جواها، ومشوارك منها لشغلك بسيط. تمشي شوية صغيرين من شارع الرشيدي للقصر العيني، وبعدين تكسر على إيدك الشمال، خطوتين وتدخل لجمال الدين أبو المحاسن تلقى نفسك قدام شغلك، على خطوتك تمشى ربع ساعة فقط.

يصف لي طريقا أقطعها يوميا، أومأت بما يفيد موافقتي على سكنى الحجرة قبل أن أراها، لكنه أعاد كلامه عن مزاياها مرة ثانية، وكأنه يخشى ألا أقبل بها فتطول مدة إقامتي عنده أكثر من ذلك.

لم يكن يعلم بقدر امتناني له وتقديري لمعروفه، ولم يكن يعرف بأنني سمعت كلام زوجته عن بلادة إحساسي لأني شاركت زوجين شقتهما الصغيرة طوال هذه المدة.

كذلك لم يكن مقدرا لتوقى للإنفراد بنفسي في مكان يخصني وحدي. مكان يتسع لكتبي المخزونة في القرية، ولنزواتي التي مازال محلها القلب.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(14)

"واصل أهل سعاد الأولى رفع حصارهم عنا، حرصت على ألا أضيع خميسا، فتفوتني فرصة ضمها وتقبيلها، لكنها عادت سريعا لتململها، تقابلني بوجه متجهم مكدور وكأنها أتت مجبرة على مجالستي. تصافحني بأطراف أصابعها. سألتها إن كان في حياتها شخص آخر فنفت، أكدت نفيها بقسم غليظ.أخرجت من جيبي خاتما على حرف (s) ، أول حروف اسمها، أستطاع الخاتم أن ينتزع ابتسامة منها، أفرطت في الغزل وكذبت في وصف جمال ابتسامتها، تركتني أتحسس شفتيها. مسحت بلسانها آثار أصابعي، قامت بحجة إحضار الشاي، أمسكت بيمناها، شددتها إلى، ألقت بنفسها في حضني،

عضضت شفتها السفلى فتأوهت بغنج، هصرت

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

ردفيها بقسوة فارتجفت، ولما حاولت رفع الثوب انفلتت.

وعند الباب ابتسمت قائلة:

- يكفيك ما أخذت اليوم لا تكن طماعا.

غادرتني بينما آثار احتضانها تنسحب مع كل خطوة تخطوها، ولما عادت حاملة صينية الشاي لم أجد له طعما، وحينما أتوا بالطعام وجدتني أعافه، فاعتذرت وغادرتهم.

وفى الخميس التالي غبت، وفى الذي يليه زارني أخوها، أقسم أن يصطحبني إلى بيتهم. أصررت على الرفض.

- والله العظيم أشيلك إن ما مشيت معي

وجدتها وقد استعادت جهامتها، وكأنها غير تلك التي أذابها عبثي بجسدها، أم تراها هي التي كانت تعبث بى؟ وإلى متى أشترى رضاها بالهدايا؟ما أبأس أن تتحول هدية المحب إلى رشوة من أجل قبلة أو ابتسامة. هذه المرتشية ستبيعني جسدها بعد الزواج، فإن لم أدفع فكدر مقيم.ما أحقرها ، إنها حشرة. دودة، مجرد دودة حقيرة.

أغاظتني ملامحها المكفهرة، تخيلتها دودة مستكينة فوق الكنبة، فشعرت بالتقزز فغادرت مقسما على ألا أعود."

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(15)

استمتعت بالدوش الدافئ.صببت الكنكة في كوب زجاجي كبير، فتحت النافذة ووقفت أشم الهواء، وأرشف القهوة بتلذذ بينما عيناي مغروستان بين نهدى امرأة تنشر الغسيل.

فردت كتبي وأوراقي فوق الترابيزة. ثم ثبتت شمعة داخل كوب زجاجى مشروخ، أطفأت الشمعة واضعا مشط كبريت بالقرب منها تحسبا لانقطاع الكهرباء. ولما انتهت أغنية فيروز أخرجت الشريط من الكاسيت، حاولت ضبط مؤشر الراديو قبل أن تبدأ ثومة في تمام الخامسة.

يطربني لحن إنت عمري، أسرع بإعداد كوب قهوة ثان، أرشفه بينما ثومة تغنى. وجدتني أحب حجرتي، فرغم فقرها إلا أنها تصلح للحياة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(16)

اكتشفنا مقهى "بات مان" بالصدفة، كنا نسير بلا هدف ولما تعبنا دعانا فايز لنستريح ونشرب الشاي، آسر وشريف انتحيا بالشيشة وانخرطا في حديث جانبي، طلب فايز عودا من النعناع وقبل أن يعود النادل شرع في قراءة قصيدة.

أعجبنا المقهى فصار ملتقانا، أصبح المكتب لتسويد الصفحات البيضاء بالحبر، بينما المقهى للضحك والحديث والتأمل والبوح، كان أنسب كثيرا للحياة بعيدا عن عيون المدير ورنين جرسه.

أوحى لي أسم المقهى بفكرة تحقيق عن ظاهرة تسمية المقاهي بأسماء أفلام ومسلسلات شهيرة، أعددته بسرعة ورغم يقيني من أنه مجرد رقم في كشف الإنتاج إلا أن المدير فرح به، استدعاني إلى مكتبه، طالب السكرتيرة بصنع القهوة لي من البن المخصوص الذي يحتفظ به في درج مكتبه، امتدحني ثم قرن بالمديح لوما خفيفا:

- لماذا تعتبر نفسك مجرد موظف هنا؟ هنا الأمر يختلف عنه

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

في وظيفتك الحكومية، أنت بالذات بالنسبة لي أكثر من مجرد محرر، أنت أخي وصديقي، جئتني من طرف أخ وصديق عزيز، وفي ظرف أسابيع قلائل أثبت جدارتك، فثق بي، وبح لي بما يحزنك ويدفعك للوحدة والصمت.

- وحدتي اختيار وليست عزلة، وصمتي ليس حزنا ولا تأملا، هو مجرد طبع أو اعتياد، أو مجرد عدم رغبة في الكلام.

- ليكن، أعلم أني أحبك، المهم ما تعتبرنيش غريب وإن احتجت شيئا لا تخجل منى، وأطلب مني بلا تردد. كن أخي يا علاء.

شكرته فعاد لامتداحي قبل أن يصارحني بأن الموضوعات الثقافية التي أقدمها له مجرد كمالة عدد في رسائله للصحف التي يتعامل معها.

نظرت له متعجبا، فأوضح:

- يعنى من الآخر ما تنفعش تفتح مكتب، مجرد هامش بينما المتن هو الفن والرياضة والجريمة، لذلك أعجبني موضوعك عن المقاهي، أخيرا لقيت لنفسك سكة جديدة.

قال كلاما كثيرا أنهاه بإخباري عن أزمة يواجهها في موضوعات الحوادث، فهي المجال الوحيد الذي فشل في سد عجزه. فهمت أني مطالب بإدراج الحوادث في كشف إنتاجي، اقترحت أن يعين مندوبا في الداخلية لسد العجز فرفض:

- لا ما ينفعش، ده ممكن يحصل هنا في جريدة محلية، نقدر

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

نبروز الرتب ونكتب أسمائهم ببنط كبير، أيضا ننشر صورهم، ده ينفع هنا ويعمل علاقات تنفع في الشغل وبره الشغل، لكن ده ما ينفعش هناك.

****

كان يعاني فراغا فتحدث كثيرا، أخبرني أن الزملاء كلهم يؤلفون حوادث مثيرة، نصحني بأن أفعل مثلهم خاصة أنى قاص خصب الخيال كما وصفني، أكد على أن الحوادث تمارين إبداعية ستفيدني كثيرا، ونصحني ألا أحتذي بفايز الذي يكتب حوادث بايخة لكنها وللحق تتميز بعناوين شاعرية.
أردف الجملة الأخيرة برنة من جرسه مستدعيا السكرتيرة لترفع فنجاني القهوة، ومنهيا لجلستنا الودية، فنهضت بينما طيف كاميليا شاغلني بمجرد رؤية الجرس، فقررت أن تكون حادثتها مفتتح تماريني الإبداعية.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(17)

لم يكن عبدالله البري غائبا، كان في مهمة عمل، وعاد منشرح الصدر وبحوزته موضوع عشري الصفحات مصحوب بدستة صور ملونة مختلفة المقاسات لم يتحمل المكتب تكلفتها.

بادره شريف بالسؤال:

- حاورت مين يا بحري؟

- قلت لك مبحبش بحري دي يا جدع انت.

- عبدالله البحري ولا البري الإثنين في ألف ليلة

- ظريف جدا

تدخل آسر مانعا شريف من مواصلة استفزازه لعبدالله، يخشى إن علا صوتهما يرن الجلجل:

- بجد يا عبده مين ده اللى حوارك معاه إحتاج مأمورية يومين؟

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

بزهو أجاب عبده:

- الجوهرة السوداء.

- معقول حاورت بيليه؟

- وسافرت له البرازيل؟

انفجرنا ضحكا وامتلأ صدر عبده غيظا لكن رنين الجرس، وما أعقبه من نداء السكرتيرة حالا دون انفجاره، فخرج مهرولا دون أن يرينا الصور أو يكشف لنا عن جوهرته السوداء.

وبختهم لسخريتهم من عبدالله مع أنى شاركتهم الضحك. قال شريف:

- ما تقلقش عبدالله محصن ضد الإحباط.

بعنف دهس آسر عقب آخر سيجارة بحوزته، وكأنه يعاقبها لانتهائها:

- مش مهم عبده يحبط أو يولع المهم بجد يقصد مين بالجوهرة السوداء؟

بهدوء معتاد أجاب فايز:

- بخيتة.

- نعم ياخويا ؟

- والله العظيم بخ.... (سيطرت عليه نوبة ضحك غير معتادة، قطعت عليه اسم الجوهرة السوداء، فأعاده) بخيييتة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

ضحكه أغاظ آسر فخطف السيجارة التي أشعلها فايز بعد تجاوزه لنوبة الضحك:

- أوكاي أنا معاك (شفط نفسا طويلا فتوهجت السيجارة) أوكاي بخيتة بخيتة مش معترض (بغيظ أخرج الدخان دفعة واحدة وارتفع صوته ممتزجا بسعاله) نفوت لك إنك كنت عارف وخرست، زي بعضه، لكن قل لي بجد تطلع مين ست هبابة دي؟

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(18)

"لاحظ الحاج عطوة تحولات زنون، لامه لكثرة شروده ولطول اختفائه، ألح في السؤال وزنون يصر على المراوغة. فهم الحاج سر معاناته وتحرجه من الإجابة، فقرر تزويجه.

فرح زنون بالقرار حتى بعدما عرف أن العروس خضرة إبنة عثمان الخفير، لم ينس أهل القرية أن جد عثمان كان عبدا حبشيا، لازال بعض الكبار ينادون عثمان بالعبد، لكنه وجد من يزوجه ابنته غير السوداء فجاءت ابنتها خضرة.

زفوا زنون على خضرة يوم وقفة عرفات، وقبل وقفة السنة التالية أنجبت ابنتين، كاميليا وهند.

لم يتكرر حملها ورضي زنون بقسمته ونصيبه، لم يفكر

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

في الزواج بغير خضرة حتى بعدما ماتت هند.
اكتفى بكاميليا، كانت جميلة ففرح بها وأسرف فى تدليلها، لكن حتى حين.
فقد توفى الحاج عطوة مورثا ذريته أشياء لم يكن من بينها بيع اللبن في المدينة. فقد زنون عمله، وأضطر للسكنى خارج بيت الحاج عطوة، ولإخراج كاميليا من المدرسة رغم نجاحها في الابتدائية.
جرب أعمالا أخرى كثيرة، وخرجت خضرة وكاميليا من البيت للعمل في الغيطان.
نسى زنون أن الزمن يمر وأن كاميليا تكبر ويبين جمالها لكل من يرى، ظل ناسيا حتى ذكره عبدالولى، جاء يخطب كاميليا، وهو مثلهم جميعا يعمل غيطانيا أجيرا.
تذكر أنه يوم وفد إلى القرية كان مثل عبدالولى، تذكر أحلامه وما تمناه لكاميليا، لا يرضى لكاميليا أن تكون في كبرها مثل خضرة فلن يزوجها ممن هو مثل زنون.
أبلغ عبدالولى برفضه، ولما سألته خضرة عن السبب بكى، كاميليا أيضا بكت وذبلت ولم يرق قلب زنون.
عبدالولي لم ييأس ظل يرسل المراسيل ويعقب على كل رفض بطلب جديد للخطبة، ظل يلح حتى انفجر فيه زنون:

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- لن أزوج ابنتي من غريب، أعرف أنى مثلك من الغرباء، لذلك فأنا أعرف جيدا معنى أن تكون غريبا خصوصا في مثل تلك القرية الكافر أهلها. سامحني يا بني، أعرف أن لا عيب فيك، ولا ذنب لك. ولست بأفضل منك لكن لن أزوج ابنتي من غريب. سامحني فلا أستطيع أن أكون جدا لغرباء.

أما كاميليا التي لم تجرب من قبل قسوة زنون هددته بأن تشعل النار في نفسها، لم يصدق تهديدها فلم يتراجع، لكنها كانت جادة، فعلت ما هددت به.

بكي الطفل الذي كنته حينما رأى كاميليا تشتعل، تصرخ مستغيثة لكن لم يستطع التراب الذي قذفوها به أن يطفئها، كانت مثل الحمام الذي طار مشتعلا يوم احترقت الغية فوق بيت مهندس الري، رفرفة الحمام لم تطفئ النار، كف الحمام عن الرفرفة فهوى مرتطما بالأرض.

وكذلك هوت كاميليا. غطوها بملاءة سرير وهم يقولون:

- لسه فيها الروح

زكمت رائحة اللحم المحترق أنفى، وسمعت رنين

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

جرس السيارة التي صاح الناس لقدومها:

- الإسعاف... الإسعاف

******

السيارة ذات الرنين انطلقت بكاميليا، مثيرة غبارا كثيفا لم يغطي على رائحة احتراقها، وفي المستشفى فرت الروح من أسر الجسد الذي شوهته النار، دفنوها في مقبرة صدقة مخصصة لجثامين الغرباء بجوار ضريح الولي، سقطت خضرة مغشيا عليها، وبعد أيام ثلاثة أرقدوها إلى جوار كاميليا.

بكى عبدالولي كثيرا عند ضريح سيده، وذات فجر غادر القرية ولم يعد، أما زنون فنذر نفسه لخدمة ضريح الولى ومسجده، زرع حوله الريحان والنعناع، وكل يوم يرش الماء فوق المقبرة. ويملأ الزير ليشرب العابرين أو زوار المقام.

******

ناس قريتنا تسلوا لأيام بحكاية كاميليا، قليلون من صدقوا رواية الأب عن انفجار موقد الكيروسين، أما أكثرهم فقد اتهموا الأب بإشعال النار فيجسد ابنته الغيطانية التي لم تصن شرفه".

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(19)

كتبت الحادثة لكن عجزت لأيام عن اختيار خاتمة مناسبة لها، كنت أحب كاميليا فلم أرد لها أن تموت منتحرة، حرام أن تعيش وتموت في جحيم ثم أجعلها تخلد فيه إلى يوم القيامة.

أيضا لم أرد لزنون أن يكون قاتلا، رأيت في عبدالولي سببا لما حدث فعاقبته بإعادة حرمانه من كاميليا التي أردت لها أن تموت عذراء.

فكرت قليلا وأعدت صياغة الحكاية ممتدحا جهد الضابط الذي برأ الأب وأثبت التهمة على موقد الكيروسين الذي إغتال الفتاة قبيل سويعات من زفافها.

****

كانت كاميليا تمريني الإبداعي الأول – بحسب تسمية المدير لكتابة الحوادث - بعده اختلقت حوادث أخرى كانت أكثر سهولة وأقل إيلاما .

منشورات «ألف باء AlfYaa»

وفي الاجتماع الأسبوعي تباهى المدير ببعد نظره، فخيال القاص أبدع حوادث مشوقة قابلة للتصديق. بشرني بأن اجتيازي للتمارين الإبداعية يضمن لي النجاح روائيا. ضحك آسر، وعقب فايز بأنه لم يسمع من قبل عن روائي تحت التمرين، نجحوا جميعا في نكأ جرح غائر في روحي، فاعتراني أسى مستبد.

أنهى المدير الموقف بأن أخرج الجرس من جيبه، دفعنا الرنين إلي التزام الصمت، فأكمل المدير كلامه، أفاض في شرح ملاحظته بأننا نميل إلى التخصص حتى في كتابة الحوادث فعبدالله تخصص في الاغتصاب والتحرش، وأنا في القتل، وشريف في السرقة، وآسر موضوعه الأثير الانتحار، أما فايز فغالبا ما تكون حوادثه عن الخيانات الزوجية، ولما لم تكن لسعاد الثانية مساهمة في هذا المجال فقد كلفها المدير بأن تلجأ إلى مصادرها من الأطباء النفسيين طالبة تفسيرا علميا لما لاحظه المدير.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(20)

إقتحم المدير حجرتنا دون جرس، أتت ثندث خلفه مهرولة، تود الوقوف على حقيقة الأمر الجلل الذي أنسى المدير جرسه.

تطايرت الأدخنة من أفواه آسر وفايز وشريف، دهسوا سجائرهم بالأحذية. عبدالله أبتلع القرص وصب الماء بسرعة داخل فمه، تناثر بعض الماء مبللا قميصه فمنح المدير فرصة لإلقاء حممه:

- دايما ريالتك نازلة يا عبدالله يا براوي

صححت ثندث التي لم تفهم مقصده:

- بري يا فندم

- لا براوي إنت متفهميش معنى براوي

فوجئت ثندث فلزمت الصمت، وواصل المدير:

- براوي يعنى واطي. يعنى يعض اليد التي امتدت له

منشورات «ألف باء AlfYaa»

بالإحسان، كان مدرس عربي بالحصة ما يحصلش في الشهر 100 جنيه، جبته مصحح مع إني أقدر أقوم بدوره، وأحسن منه كمان، كل ما أراجع شغله ألقى أخطاء لم يكتشفها ولم يصوبها، استغل قرابته لمراتي وخلاها تلح على إني أشغله، بعد كده علمته شغل الديسك، وإديته فرصة عمره إنه يبقى صحفي بجد، يقابل ناس ويعمل حوارات.

حاول عبدالله أن يكبحه:

- يافندم جميل حضرتك فوق رأسي، ربنا يعلم بقول عن حضرتك إيه للأخت أم شادي ولخالتي الحاجة حماتك.

- ماهو باين، عشان كده خربت بيتي.

- أنا يافندم؟

تدخل شريف:

- عبده عمل إيه غلط قل لنا سيادتك.

- الأستاذ لما حب يتشملل ويشتغل في الفن، وقع على واحدة مرمية على الرصيف. واحدة زبالة بدل ما يرميها جوة سلة، فكر يعمل منها نجمة، فاكر نفسه محمد التابعى في زمانه، المشكلة إني نسيت هو مين وأخلاقه إيه، وإمكانياته قد إيه، صدقت إنه اكتشف الجوهرة السمراء بصحيح.

ضحك فايز:

- قصدك بخيته

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- تعرفها

- صوتها مش وحش

- ماشى لكن تغني في الأفراح البلدي، ممكن في كباريه مضروب، لكن يقول عنها نجمة وتدي جواهر بالجزمة، وهى حتة بتاعة سودة ماتسواش تعريفة.

دافع عبدالله عن نفسه:

- يافندم حضرتك وافقت على الفكرة، وعجبك الحوار وأنا بفرغ الشريط، ولما شفت الصور إتحمست لها، وشاركتني في الكتابة واختيار العناوين، وأرسلت الموضوع لكل الصحف اللي بنتعامل معها.

- وكل الصحف رجعته وقالت إيه المستوى الوضيع ده، ومين الهبابة دي، ولا صحيفه واحدة نشرت منه كلمتين، جزائي إني أتحمل توبيخ الكل، وفوق منه تكلفة الإرسال، إعمل حسابك يا عبدالله يا براوي إن كل الخساير اللى تسببت فيها للمكتب مخصومة من مرتبك.

- اللى تشوفه يافندم، بس هدي أعصاب حضرتك.

- كمان إبعد عن الفن خالص، خليك في الرياضة والحوادث كفاية عليك. فاهم.

- اللى تشوفه يافندم.

دار المدير حول نفسه، أخرج الجرس من جيبه لكن لم يقرعه، وهرول خارجاً، قبل أن تلحق به ثندث.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

نصحت عبدالله:

- متضيعش فرصتك الأخيرة وبلاش في الكورة تكتشف شحاتة أبوكف جديد.

ضحكنا بينما أعيننا تنغرس في مؤخرة ثندث التي تسارع اهتزازها وهى تهرول لتلحق بالمدير، فلم تسمع شتائم عبدالله لها وللمدير وبوحه بأسرار أكملت لنا قصة بخيته:

- بيتكلم وكأن سوادها كان مفاجأة له، يعني هو كان شاف قبل كده سودانية بيضا، عموما هي جميلة وموهوبة بجد، وسخنة جدا جدا جدا، هو اللي ريالته نزلت لما شافها، مش ذنبي إنها أحبتني أنا ورفضت تنام معاه، مشكلته إنه فاكر كل النسوان زي ست سندس بتاعته.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(21)

عدت من القرية لأجد السلم قد طال كثيرا. غرفتي اقتربت من السماء. تعثرت وكدت أسقط أكثر من مرة، فيد تقبض على العكاز وأخرى تمسك بالحقيبة الملأى بملابس غسلتها أمي وعطرتها، وبدجاجتين محمرتين أصرت أمي على أن آخذهما لعشاء اليوم وغداء الغد.

تجردت من ملابسي وتمددت فوق الفراش أراقب مخلوقات مصلوبة على سقف غرفتي. بينما أغاني فيروز تتواتر، فلما غنت "ردني إلى بلادي" شردت مسائلا نفسي:

- أي البلاد بلادي؟وأنا في القرية لم أحن إلى المدينة، والآن لا أحن إلى القرية؟ لم أضبط نفسي مرة متلبسا بمكابدة الحنين. فأي البلاد بلادي؟ أيها وهل ثمة فارق بين بلد وآخر وفى كل البلاد تختنق الأقمار وتموت الأحلام وينسرب العمر.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(22)

شاهدت اليوم فيلما عن رواية أحبها لجورجى أمادو "دونا فلورا وزوجيها"، عدت من عند صديقي الذي امتلك شريطا للفيلم ناويا أن أعيد قراءة الرواية. بذلت جهدا مضنيا في فتح كراتين الكتب التي شحنتها من غرفتي في بيت أبى بالقرية إلى غرفتي فوق أحد أسطح شارع الرشيدي. غطت الكراتين ومحتوياتها بلاط الحجرة ولم أعثر على الرواية، في الأسبوع القادم سأبحث عنها فيما تبقى من كراتين بالقرية، ولأقرأ الليلة رواية غيرها.

الطرقات المتواصلة على الباب منعتني من اختيار رواية الليلة، لم تتح لى وقتا لأعيد ترتيب الحجرة، فتحت لأجد جاري يداري خجله بابتسامة :

- آسف إن كنت أزعجتك

- إطلاقا لم تزعجني

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- كنت نايم؟

- لا، أدخل يا حمدي البيت بيتك.

دخل الحجرة وهو مطرق الرأس يكاد يتعثر في خجله، داعبته لأزيل عنه الحرج:

- إرفع رأسك يا أخي لست مضطرا لغض البصر، فأنا أعيش وحيدا.

تحدث كثيرا بلكنته الريفية عن خطورة أن أعيش وحيدا، تشاغلت عن حديثه ونصائحه التي ذكرتنى بشقيق سعاد الأولى بإعداد الشاي، لم ينتبه لعدم إصغائي، مددت له يدي بكوب الشاي:

- لست وحيدا (أشرت إلى الكتب) كل هذه المخلوقات تشاركني غرفتي.

- ياااه... كل دي كتب... دي ثروة يا عم.

- هي كل ما أملك.

- القراءة حلوة ومفيدة لكن يا خسارة لم أعتد عليها.

- أجد فيها متعتي وملاذي.

- متعة؟ المتعة لدي النساء يا صاحبي.

- الكتب أكثر إمتاعا.

- لم أجربها.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

- خذ كتابا وجرب.

- لا احتمال عندي على قراءة صفحة.

- إذن تحرم نفسك، تكفيك زوجتك.

- هل جربت متعة النساء؟

- ليس بعد.

- لو تزوجت لن تجد الكتب ممتعة، وقد لا تجد وقتا للقراءة، وربما تجلس بهذه الكتب على أحد أرصفة الميدان لتبيعها.

ضحك كثيرا ثم لاذ بالصمت فاعتراه الأسى. سألته عن سر أساه، فسرسبت منه قصة حياته.

قصص حياتنا كلها متشابهه إلا في حفنة تفاصيل، حكى كثيرا عن دنيا ومكابداته من أجلها، عانى الحب، وعانى ليدبر نفقات زواجه بها، ويعاني الآن من هجرها.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(23)

طالت مكالمة المدير أكثر مما يجب فظننت أنها لن تنتهي.

نفسي الأمارة بالسوء سألتني:

- هل يمكن أن يتحمل شخص ذو حيثية - كما حاول المدير إيهامنا – مكالمة تستغرق كل هذا الوقت في كلام بدا لي متناقضا، مفككا.

شككت في أنه يتعمد أن يسمعني أنا وثندث حديثه، امتزج في حديثه إلى الشخص المجهول

– وربما غير الموجود - الدفاع عن نفسه، نفى كل ما يشاع حوله من اتهامات، وزها بما حقق من نجاحات.

أوليته أذني بينما عيناي انشغلتا بتأمل ثندث المستريحة في جلستها واضعة ساقا فوق ساق، وبهزات من رأسها كانت تؤمن على ما يقوله، وكأن الشخص الذي لا نعلمه يراها ويحتاج إلى إشاراتها لتؤكد له صدق ما يسمع.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

ولما وضع السماعة لم تنتظر ثندث ليخبرنا عن سبب استدعائه لنا أنا وهى فقط، نهضت منحنية أمامه لتعدل من وضع التليفون فوق المكتب، أزاحته جانبا، وضعت القلم الرصاص غير المبري في المقلمة، وقربت من يديه الجرس:

- أعمل لسيادتك القهوة، شايفة إنك سيادتك محتاجها.

- أعملي لنا ثلاثة فناجين

- الثلاثة معا من البن المخصوص بتاعي.

- أوامرك يا فندم

انصرفت وهو يتابعها غير مبال بافتضاح نظرته لها المشوبة بالشهوة، ولما أغلقت الباب تنهد:

- الله يكون في عون جوزها، نصف دخله ضايع على المقويات والمنشطات الجنسية، لو مراتك زى سندس الناس يحسدوك ، والحقيقة إنهم مفروض يشفقوا عليك، ويدعو لك إن ربنا يقويك، أنا خايف المنشطات تقضى عليه، وتفاجأ في يوم بمن يخبرك أن سندس بقت أرملة، (يضحك ربما لمداراة توتره) خايف في مرة تدخل علينا لابسة إسود في إسود. تبقى صعبة جدا من غير ألوان. تعرف أنا بعزها ليه وأقدرها وأتحمل غباوتها، لأنها مخلصة ومطيعة وحمارة شغل.

نقرتان خفيفتان ثم فُتح الباب، تدخل سندس، يمناها تحمل الصينية، لاحظت فنجانين مملوءين بالقهوة، الثالث مقلوب، الفناجين الثلاثة ترسم مثلثا في مركزه الكنكة، بيسراها عدلت

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الفنجان المقلوب، صبت فيه القهوة بحرص، ثم وضعته أمام المدير:

- قهوتك يافندم. شايف الوش قد إيه يا فندم

تضع الصينية بفنجانيها المصبوبان سلفا فوق المنضدة الصغيرة التي تتوسط مقعدينا، جلست قبالتي، تضع ساقا فوق أخرى، تنحسر الجوب عن مساحات إضافية من الساقين، تلحظ نظرتي المشتهية لها فتبتسم:

- قهوتك بردت يا علاء.

من خلال رشفاته الملتذة أوضح المدير مشروعه:

- موضوعك يا علاء عن السوق السرية للمخطوطات هايل، لكن مقدرش أنشره باسمك، ممكن يعمل لك مشاكل إنت مش قدها، ويخسرك مصادر مهمة، إنت شاب موهوب ولسه في أول مشوارك، يا ريت تعمل موضوعات تاني في السكة دي، هتنزل برضه من غير إسمك، لكن الأجر دوبل، مضاعف، الموضوع بإثنين.

لم أعلق فانتقل للبند الثانى في جدول الأعمال:

- النقطة الثانية تخصك إنت يا سندس

- أوامرك يافندم

- إنت ماتقليش أبدا في الإمكانيات عن كتير من اللى بيشتغلوا في الصحافة سواء كانت لهم تجربة معنا هنا، أو في أماكن غيرنا، إنت بتفهمي أكثر من ناس كتير أعرفهم، منهم عبدالله

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

البحري، باختصار وبدون مجاملة لك أنا شايف إن عندك مواهب، عاوز أديك فرصة تكتشفي موهبتك الصحفية وتستغلى متابعتك للصحافة الفنية وحبك للنجوم وحكاياتهم والأفلام والمسلسلات.

- فكرة هايلة يافندم، لكن ممكن حضرتك تشرح لي إيه المطلوب مني؟

- مسموح لك تستفيدى من أرشيف المكتب، تنسقي مع الأستاذ علاء، وتتفقوا سوا على أسماء من نجوم زمن الفن الجميل، الرواد والشخصيات المهمة، في الأول حددوا أسماء عشر شخصيات كوميدية يكون منهم نجيب الريحاني، هاتوا من الأول عشان نطول، من أول ملف الكوميديا، كل إسم تقرى كل المواد اللي تخصه في الأرشيف بتاعنا عنه، تجمعي معلومات على قد ما تقدري، وتعملي منها بروفايل.

- جميل يافندم لكن بصراحة صعب جدا

- عارف إن البداية دايما صعبة وممكن تكون طويلة، واحتمال تشوفيها مملة، وده بقى دور الأستاذ علاء، أنا إخترته لإنى واثق فيه كإنسان وككاتب.

- ودوري إيه حضرتك؟

- تقرا ما تكتبه سندس وتلعب فيه، تظبطه، تحذف، تضيف، تعدل صياغة، حاجات كده يعني، إنت سيد العارفين. وأنا واثق انك تقدر تعمل من الفسيخ شربات.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

هززت رأسي علامة فهم مقصده فأكمل مشروعه:

- كل شهر تقدمي عشرة موضوعات لكن وقت الحساب خدي بالك لك أجر خمسة فقط من العشرة، وللأستاذ علاء نصف أجرك نظير جهده معك، والباقي ليس لي، ولكن للمكتب، إعتبريه رسوم الإستفادة من الأرشيف، أظن كده اتفقنا.

قالها وانتفض واقفا، ليعلن انتهاء الاجتماع، فخرجت تتبعني ثندث لترجوني ألا أتخلى عنها في مرحلتها المهمة القادمة.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(24)

تصادف رجوعي للبيت مع وقت رجوع حمدي، حمل عنى حقيبتي، وسبقني صاعدا درجات السلم الحجري، انتظرني عند باب حجرتي، فدعوته للدخول:

- لسه إصحابك على الأرض؟

التفت إلى الكتب الممدة فوق البلاط، وإلى الكراتين الشاغرة،

- النوم غلبني فلم أعدهم إلى الكراتين.

شرعت في تبديل ملابسي أما هو فجلس القرفصاء وسط الكتب:

- مفروض تعمل مكتبة حرام يتبهدلوا كده.

- سأفعل حينما أمتلك ثمن الأرفف الخشبية.

فردت طولي على السرير فشعرت براحة، أفسحت له مكانا بجانبي ودعوته:

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- مدد جنبي تعالى

أفسحت له مكانا إلى جواري، تمدد صامتا، حدق في السقف طويلا ثم أعاد حديثه عن دنيا ذاكرا سبب هجرها له:

- بنت اللذين أصرت أشتري لها فستان جديد تحضر به فرح أختها.

- ربنا يخليك لها.

- عارف إن ده طبيعي ومن حقها لكن يا صاحبي أجيب منين؟

- .....

- الفستان وجزمته وطرحته وكمان شنطة يتكلفوا مش أقل من 150 جنيه قلت لها مدكنة كم من مصروف البيت قالت أربعين، دفعت زيهم وقلت لها دبري نفسك، زعلت مني وضربت بوز شبرين، مكنش باقي معايا غير عشرين، دفعت منهم عشرة، قامت ورمت التسعين جنيه وسابت البيت.

واصل حديثه وكأنه يراها، لامها لأنها تركته وحيدا، ثم دافع عنها، أقر بحقها في أن تظهر بشكل لائق مثل إخواتها، لكنه لم يكن يستطيع أن يدفع لها أكثر مما دفع.

غادر السرير متشاغلا عن طيفها، يرص الكتب ويعيدها إلى محبسها في الكراتين وفى نفس الوقت يناجى طيفها ويلومها ويبثها أشواقه ويندب حظه، لم أصغ له، تركته لأقوم بتسخين ما لدي من طعام وإعداد المائدة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

أكلنا وسط الكراتين، جعلنا منها مقاعد ونحن نشرب الشاي، ولما عاد حمدي للحديث عن دنيا وطعم شايها وهما يسمعان أم كلثوم سألته:

- التسعين جنيه لسه معاك؟

- ثلاثة عشرينات وثلاثة عشرات دفيانين تحت المخدة.

قدمت له ورقة فئة الخمسين جنيها :

- روح راضيها وصالحها قبل الفرح.

فى البدء رفض لكن إزاء إصراري، وضغط هجر دنيا قبل أن يأخذها مني:

- أردها لك على شهرين.

- نحن أخوان فلا تعتبرها دينا واجب السداد.

لم يخرج إليها إلا بعد أن جمع أطباق الغداء وكوبي الشاي، غسلهم جيدا على حوض حنفية السطح وهو يدندن بأغنية لثومة، يظل يعيد "واحشني وإنت قصاد عيني... وشاغلني وإنت بعيد عني".. حتى فرغ، ثم تركني قائلا أنه سيغير ملابسه ويهرع لمصالحة دنيا.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(25)

سافرت إلى قريتي قبل أن تعود دنيا، أخذت النقود من حمدي، وقالت أنها سامحته لكن لن تعود قبل فرح أختها، لا تستطيع أن تتركها وحيدة في مثل هذه الأيام. وعدت بعد يومين لأجده وحيدا، سألته عنها:

- المتعوس متعوس

أكملت له ضاحكا:

- حتى لو دفع لدنيا كل الفلوس

ضحك مكملا شكواه:

- كان من المفترض أن تزف العروس إلى عريسها مساء الخميس، لكن الزفت عديلي تأخر في حجز قاعة الأفراح، القاعة كانت مشغولة فلم يجد مكانا إلا اليوم السبت.

- هانت كلها ساعات وتحضر الفرح وترجع معك.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- وأضمن منين إنها ماتقولش خليني مع ماما إلى أن تطمئن على أختي.

- لن تفعل ذلك، أكيد هي أيضا مشتاقة لك وتعد الساعات مثلك.

وفى المساء حرص على أن يرينى هندامه قبل الذهاب للفرح، بدلة فرحه ضاقت عليه لكن منحته قدرا من الرضا عن النفس، وبعض أناقة يحتاجها الليلة.

بزهو سألني:

- إيه رأيك؟

- مش ناقصك غير كرافتة نبيتي وتبقى عريس.

ضحك وهو يشتم دنيا:

- عندي والله، لكن بنت الكلب دي مش عارف بتخفي الحاجات فين؟

- ولا يهمك عندي كرافتة مناسبة لبدلتك.

كانت مربوطة جاهزة في الشماعة، وضعتها حول عنقه، ولما إطمئن لتمام هندامه قبلني مرتين، وأسرع ذاهبا إليها.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(26)

أيقظتني جلبتهما، بعد انتصاف الليل لا أدرى بكم من الوقت، كان صوت ضحكتها عاليا، ولم يكن يقول إلا:

- وحشتيني أوي، وحشتيني يا روحي

أطارا النوم من عيني، قمت باحثا عن كتاب يدعمني في مواجهة الأرق. وبعد سويعة أغلقت الكتاب، إذ ساعدني سكون ما قبل الفجر على سماع تأوهاتها. ذكرتني بسعاد الأولى لحظة ذوبانها بين ذراعي. لكن لما رأيتها دودة شعرت بالاشمئزاز فرميت طيفها من النافذة، واستحضرت طيف ثندث.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(27)

لاقت سلسلة الحلقات عن نجوم الكوميديا والمنشورة بإسم سندس رواجا، أستطاع المدير تسويقها في أكثر من عاصمة، نشر حلقاتها متتابعة في شهرين، وفى الشهر الثالث جمعها في كتاب كان باكورة إصدارات المكتب.

كنا جميعا مدعوين في حفل التوقيع وكانت تندث عروس الحفل، راهن شريف على أنها قضت نهارها كله عند الكوافير، وأنها بذلت في اختيار الفستان جهدا لم تبذله في تأليف الكتاب.

الفستان أزرق اللون مرصع بنقاط بيضاء لامعة، جزؤه المغطى للصدر بواح ، شفاف، لدرجة الكشف عن نصف صدرها، ورغم إنه - أي الفستان - مفرط الطول إلا أن فتحة امتدت من فوق الركبة اليسرى وحتى الكعب أكدت - كما رأى فايز - على أن سندس امرأة باهظة الفتنة، أما آسر فقد أعرب عن سعادته لأن سندس بتحديدها لمكان الفتحة أعلنت انحيازها لليسار.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

شريف بدا على غير عادته حزينا، فقد سرب له عبدالله خبر الكتاب الثاني من إصدارات المكتب. يجمع الكتاب الحلقات التي أعدها شريف عن سارة برنار الشرق وسيدة المسرح فاطمة رشدي.

كان شريف يفاخر بهذه الحلقات ويراهها إنجازه الأهم حتى الآن. يعترف بأن الصدفة أهدتها إليه ورغم عدم نشرها في الصحف بإسمه إلا أنه لم يفقد الأمل في نشرها بين طيتى كتاب يحمل غلافه إسم "شريف تاج الملك"، لكن الأمل تبخر بصدور الكتاب حاملا إسم المدير المبجل (دوما يصفه بالمبجل من باب التفكه لا السخرية) .

شريف لم يكن يترك مناسبة دون أن يقحم فيها حكايته مع فاطمة رشدي، حينما انزوت الفنانة وانسحبت عنها الأضواء كادت تُنسى، لكن القدر أحدث شقا في جدار احتجابها، فحينما تقدم شريف لخطبة سهر، وعندما علت الزغاريد فوجئ بسيدة عجوز تدخل متكئة على ذراع أم سهر، وما إن رأتها العروس حتى ناولت كأس العصير لشريف وقامت لتعانق العجوز، أجلستها وأشارت لشريف أن يأتي لمصافحتها، قدمتها له بتباه:

- تيتة فاطمة رشدي.

بدا الاسم مألوفا لشريف لكنه لم يتذكر من هي صاحبته، وحينما رأته تيتة يرهق نفسه بمحاولة التذكر لكزته ضاحكة:

- أنا فاطمة رشدي ياولا.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

أخبرته سهر بأن الفنانة جارتهم منذ سكنوا هذه الشقة، وأنهم يعتبرونها واحدة من الأسرة، وحرضته على الكتابة عن الفنانة المنسية وأتاحت له مقابلتها مرات عدة، فطال المقال وتعددت حلقاته ليصبح كتابا، وها هو الكتاب ينشر، لكن باسم رجل لم يخط فيه حرفا.

قال شريف إن أبوجلجل أعلن عليه الحرب بهذا التصرف، وأن الحرب خدعة، أقسم على أنه سينتقم لكن بطريقته، ولما سألناه عن خطته:

- أعد له خازوقا يطلع من نافوخه، وسوف ترون بأعينكم.

بعد الحفل وانصراف أغلب المدعوين وكل الزملاء استبقاني المدير، قال أن لي في الكتاب حق، وإن حقي داخل سيارته، وعند السيارة قال أنه سيوصلني بنفسه، فتحت لي ثندث الباب الخلفي، أغلقته بعد جلوسي ودارت حول السيارة من الخلف، ظننتها ستجلس إلى جواري ففتحت لها الباب من الداخل، لكنها تجاوزته لتجلس في المقعد الأمامي إلى جوار المدير.

- إقفل الباب اللى جنبك.

شددته بغيظ مكتوم، حدجها المدير بغضب لكنه واصل الكلام تجاهي:

- إنت تعبت معنا في الكتاب ولك فيه حق، فين نسخه من الكتاب يا سندس.

ناولتني سندس مُغلفا مُغلقا يضم النسخ التي لم أدر عددها لكن

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

يبدو من حجمه أن عددها لن يتجاوز الخمسة.

– دقيقتين أوصل سندس وبعدها ألف وأرجع بك عاوز أكلمك بعيدا عن المكتب. (لم ينتظر نزول ثندث ليبدأ كلامه معي) أخذت بالك يا علاء إن سعاد ماحضرتش. بكرة تحلف على المصحف إن ابنها مريض وإن جوزها حلف عليها بالطلاق أن لا تخرج، والحقيقة أنا توقعت عدم حضورها، أنا عارفها وعارف غيرتها من سندس، لأن سندس جميلة وجذابة وموهوبة، وسعاد زي ما أنت شايفها محرومة من كل الحاجات دي. تعرف إن سعاد كانت بايرة وعشان كده قبلت بزوج غير مناسب، قالت أي حد أفضل من العنوسة. ضل راجل على رأى المثل البلدي. الأيام دي قريبة جدا من الواد عبدالله، مع أنها وحشة ومحرومة من الأنوثة لكن دا ولد معفن ممكن تعجبه ويغويها، الواد ده رغم صمته لكن جواه بركان منتظر فرصة وينفجر، لازم أخلص منه قبل إنفجار بركان الحقد اللى جواه. فايز أيضا معقد، بيدعي أنه ممتنع عن الإنجاب بمزاجه، يتفلسف ويقول لن أكون سببا في زيادة عدد البؤساء في هذا العالم، الحقيقة إنه عقيم، ظل لفترة يمتنع عن إجراء التحاليل اللازمة، خشي أن يكون هو المعيب فتطلب زوجته الطلاق، أمهلها وسوف وأجل إلى أن استنفد جميع الحيل والحجج، وفى النهاية رضخ وحلل، مش مصدقني، طيب، خد دي كمان مراته سابت البيت وطالبة الطلاق، معذورة نفسها في عيل يقول لها يا ماما، أما سي شريف أفندي تاج الملك فهو أخبث واحد فيهم، لكن تعرفوا ميزته إيه.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

تضاحكت:

- شريف كله مزايا

- ميزته الوحيدة إن هدفه واضح قدام عينيه، الفلوس، شريف زى التاكسي، عنده عداد خاص يحول السطور إلى جنيهات، آسر غيرهم، طيب وساذج، لكنه عايش دور المناضل اليساري وعشان كده شريف لما يحب يغيظه يقول أيسر، كلنا عارفين انه لا مناضل ولا يحزنون، مشكلته التانيه إعتقاده إنه أكتر واحد بيفهم في كل حاجة وأي حاجة.

- وأنا يا ريس شايفني إزاى؟

- لا إنت غيرهم يا علاء، إنت فيك طيبة الفلاح الأصيل، وكلامي لك مش نميمة كلامي توعية خايف يبهتوا عليك وتبقى زيهم. أرجوك إحذرهم يا صديقي.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(28)

منذ تجرأ نيتشة معلنا عن موت الإله ومواكب تشييع الجنازات لا تنتهي: المؤلف، الناقد، النص، الأيديولوجيا، المشاعر، الأخلاق، الفعل، الكلام، أشهروا موت كل شيء ولم يبق إلا العدم.

أنا أيضا أدركني الموت لكن لم أجد من يعلن على الملأ موتى، ربما لأن لا أحد في هذا الكون الخرب يعبأ بموتى أو بحياتي. وإلى أن أجد من يهتم بإعلان موتى سأظل كما أنا، أباشر مهامي في هذا العالم البائس بشكل اعتيادي: أؤلف حوادث قتل، أثرثر مع صحبة مقهى بات مان، أشاهد الأفلام، أقرأ الروايات، وفى صمت أشتهي سندس ودنيا. .. كل ذلك فقط لأبدد ما تبقى من وقت قبل تشييع جنازتي.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(29)

كثيرا ما أسأل نفسي:

- هل أحببت سعاد حقا؟

قد أتسرع مجيبا بالنفي، ويطل طيف حبي الأول ضحى، لكنه يأتي خافتا قبل أن يتوارى سريعا خلف طيف سعاد الذي يزيحه بعنف، فأتذكر نصوصا كتبتها بعد فسخ الخطوبة، بل وقبل ذلك بمجرد استشعاري للتحول في مشاعرها، منذ تحولت شكوكي فيها إلى يقين، يخالجني شك في إجابتي.

أقول لنفسي ربما توهمت أنى أحبها، ربما أحببتها فعلا. لكن متى؟ وكيف؟

أثق أن اختياري لها لم يكن اختيارا، قصدي قبولي بها لم يكن عن حب، وأن مشاعري لم تتحرك تجاهها تحديدا إلا في تلك اللحظة التي أحطت فيها إصبعها بحلقة ذهبية منقوش عليها اسمي.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

لحظتها نضحت ملامحها بفرح حقيقي، لم نجلس منفردين إلا لحيظات قبيل إعداد المائدة، أنهاها قدوم شقيقها حاملا دورق المياة المثلوجة. جلس في مواجهتنا ولم يغادرنا إلا حاملا صينية الطعام التي لم تكد تمس.

بمجرد خروجه همست سعاد: أحبك.

لم تكن شفتاي نبستا بها، لم أتوقع أن تسبقني في النطق بها ولا حتى أن تكون أحستها، زغرد قلبي بين الضلوع وتراقص فرحا.

فهل أحببتها حقا أم أن كلمتها حركت السواكن بداخلي؟ وإن لم تكن مشاعري تجاهها حبا فما تفسير كل تلك الآلام التي اعتصرتني حينما تأكدت من صدق هواجسي، لحظة رؤيتي لهما معا؟ أكانت آلامي نتيجة إجهاض حلم الحب وهو بعد وليد، أم للكرامة المهدرة والذات المطعونة في كبريائها؟

هل أحببت سعاد حقا؟

أتذكر لحظات ذوبانها بين ذراعي (هى حواء الوحيدة التي ضمها حضني فعلا وليس وهما أو خيالا) أتذكر دموعي المنثالة ليلة زفافها، فأجيب دون يقين:

- ربما أكون قد أحببتها... ربما.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(30)

- أنت إنسان غريب.

-.....

- حقيقي إنت أغرب إنسان عرفته.

- .....

منذ دخلت دنيا حجرتي وهي ترميني بهذه المقولة.

سألتها عن السبب فأجابت:

- أنت الوحيد الذي استقال من وظيفة حكومية، كل الذين عرفتهم حتى الذين سافروا وجمعوا الآلاف والآلاف، حصلوا على أجازات بدون مرتب وأمنوا وظائفهم، لكن أنت لم تؤمن نفسك واستقلت، فعلتها وكأن عمرك ما سمعت بالمثل القائل إن فاتك الميرى إتمرغ في ترابه.

- لا أحب المرمغة

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- يا خويا روح

- أروح فين يادنيا، مارحت في داهية خلاص.

- حتى الجد بتهرج فيه.

- .....

- كل الناس بيقولوا مفيش زى الصحافة شغلة تعمل قيمة لصاحبها، وتجيب له مكسب، حتى إسأل حمدي بقول له إيه لما يقرا الجرانين بتاعتك، ولا لما تتكلم معاه وإنت كاره شغلتك، بتحسسنا إنك ناوي تسيبها زى ماسبت الوظيفة.

- .....

- حقيقي حقيقي كل شيء فيك غريب، حتى الكتب الكتيرة دي اللي مالي بها أودتك، ونوع الأغاني اللي بتسمعها، والورق اللي دايما تقطعه وتوسخ بيه السطوح. بجد يا أستاذ علاء ليه كل شيء فيك غريب.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(31)

" قبل أن ينتصف ليل أول أيام زواجها عاودت الزغاريد الانطلاق، رأيت أم سعاد عائدة من بيت زوج ابنتها، ترفع عصاتين يصل بينهما خيط غليظ كالحبل، وبمشابك الغسيل ثبتت على الحبل منديلين ملوثين بدم عذرية سعاد.

كانت تصيح منادية الناس:

- شوفوا يا ناس شرف سعاد.

عاودت الزغاريد الانطلاق من أفواه قريباتها فأرتفع صوت الأم بما يشبه الغناء:

- قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى

بنته الأميرة غرقت الفرشة

كانت تقصد أن دم العذرية سال غزيرا ليملأ الفراش، فتساءلت:

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- لماذا يصرون على نفى تهمة لم يوجهها لهم أحد؟

فما تفعله أمها الآن، وحتى أبيها في خطبة الجمعة الماضية

وفى الدرس الذي أعقب الصلاة أعاد كثيرا الحديث عن عقاب

من يرمى المحصنات، يثير غبارا حول عفة ابنتهما.

ولما عاودوا الغناء:

- قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى

بنته الأميرة غرقت الفرشة

تخيلت الفرشة غرقانة ببول العروس فضحكت بشدة

وظلت دائرة البلل في فراش العروس تتسع أمام عينى كلما

عاودوا الغناء.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(32)

"الفرح طير مراوغ

بيحوم حول قلبى

لكن عمره ما حط "

ثلاثة أسطر هي كل ما استطاعت سعاد الثانية كتابته ثم تركت الورقة نهبا للفراغ.

قرأتها سعاد بأسى قائلة أنها لا تعرف سببا لفقدانها القدرة على الإبداع فدائما محاولاتها لا تكتمل.رأيت في الثلاثة أسطر قصيدة مكتملة، زمت سعاد شفتيها:

- مش عارفة ليه، لكن أنا حزينة لأني مش قادرة أكتب.

شاركها فايز أساها وعقب قائلا:

- كلنا كذلك، تجاربنا غير مكتملة وكل قصائدنا مجهضة أؤيده:

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- تماما كأحلامنا

- يبدو أننا سقطنا أسرى للوهم وشاعريتنا المزعومة لم تكن إلا سرابا.

- أو كانت شهابا توهج للحيظات وسرعان ما انطفأ.

قطع شريف استرسالهما المغرق في اليأس:

- لماذا تنتحرون؟ يا أعزائي الكاتب هو من يكتب. وكل ما حدث معنا هو تحول فرضته الظروف في نوع الكتابة، مجرد تحول، يعني صنف مكان صنف، صحافة بدلا من الشعر.

اعترضت سعاد بحدة:

- ما نفعله هنا لا يمت للكتابة بصلة، قل لي يا شريف هل قصائدك التي قرأتها علينا هنا أو التي قرأناها باسمك من إبداعك حقا؟

غضب شريف ظانا أنها تتهمه بسرقة القصائد. حاولت تهدئته:

- أعرف أولا معنى سؤالها لك، ليس قصدها التشكيك في نسبة قصائدك إليك، بل تتهمك بخيانتها.

تخلى عبدالله عن صمته:

- كلام علاء صحيح شكلك بايع القضية

- قضية إيه إنت مش فاهم حاجة.

أكدت سعاد:

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- لست وحدك، وكما قال فايز في قصيدة له : "كل من عليها خان"

اختلط دخان سجائر فايز بأساه:

- كلنا خنا أنفسنا، انتهكنا قداسة الكلمة، كلنا نمارس نوعا ما من الدعارة، حقا بيننا قدر ضئيل من التباين، لكنه مجرد اختلاف في التفاصيل، الجوهر واحد، جميعنا استخدمنا الشعلة المقدسة وقودا لنارجيلة مفعمة بالحشيش.

****

فجأة انشقت الأرض عن المدير:

- كفاية أفورة يا عم فايز، لسه مشبعتش من الكلام الكبير.

نظرنا فرأينا إلى جانبه شابا كان يحول ناظريه بيننا، بينما يضع يديه في جيبي بنطاله، قدمه المدير:

- الأستاذ حميد، زميل جديد، مثلكم مبدع، لا يعمل في مكتبي سوى المبدعين.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(33)

منذ أول لحظة لم أشعر بالارتياح لحميد، وتأكدت مشاعري حينما سمعته، دوما يذكر كل من يعرفهم بسوء، كان شديد البراعة في استفزاز الآخرين والتنمر عليهم، بدأ استفزازه لي مبكرا، ربما في ثاني أو ثالث أيام عمله معنا، كنت قد انتهيت لتوي من تأليف حادثة قتل شديدة البشاعة، وكان الكاسيت في درج سعاد يهمس بأغنية لعبدالحليم، فكرت أن أغتسل بالأغنية من آثار الدم الذي أسلته على الأوراق. طالبت سعاد بأن ترفع الصوت قليلا، الأغنية كانت " الليالي"، رغما عنى تحركت أصابعى لأشارك العازفين بنقرات خفيفة على سطح المكتب، وعلا همسي:

- عشت أجمل عمر في عينيك الجميلة

عشت أجمل عمر

أوصل الأيام مع الأحلام

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

بغنوة شوق طويلة للرموش السمر

قالت سعاد الثانية ضاحكة:

- يا عيني يا عيني دا إحنا هايمانين أوي

ندت عني ابتسامة خافتة سرعان ما بددها صوت حميد:

- يا عم كلها زلطة وسنة ألفين تهل علينا وإنت لسة بتسمع عبدالحليم

رددت بصوت محايد:

- لا أعتقد أن إعجابنا بأغنيات عبدالحليم يحول دون بلوغنا الألفية الثالثة.

واصل حميد هجومه الكاسح ضد عبدالحليم متهما إياه بالخنوثة والسهوكة، قال إنه أخضع الغناء العربى لسطوة النهنهة، أسكتت سعاد الكاسيت وصفرت:

- هاف تايم

طالبت بهدنة، لكن حميد اخترقها في ثانيتها الأولي، اتهم من يسمع ثومة وحليم بما أسماه "نكوص عاطفي" لم يجب على سعاد حينما استوضحت:

- يعنى إيه البتاع اللي قلته ده يا حميد.

رذاذ ردحه طال آسر الذي كان يتابع صامتا:

- حتى إنت يا آسر مع إنك على العكس منهم مثقف بجد ودارس فلسفة بتسمع محمد فؤاد مع إن مفروض اللى يسمعه يكون

منشورات «ألف باء AlfYaa»

سمكري أو ميكانيكي

التزم آسر بهدوئه الشديد:

- وده معناه إيه؟

- أقصد إنك مدعي، عندك مساحة إدعاء كبيرة بتشككني في مدى عمق ثقافتك وفي مدى حقيقة انحيازاتك

- برضه وده معناه إيه؟

- معناه واضح، مثلا إنت عامل فيها مناضل يساري، ممكن محدودية وعيك صورت لك إن إبداء الإعجاب بمغني كان مفروض يشتغل سمكري شكل من أشكال التضامن مع الكادحين.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(34)

سألنى ديستويفسكي:

- ما فائدة العيش للإنسان إن كان يدرك سلفا أن عيشه ليس سوى عيش البهائم يبعث على التقزز والسأم، وأن هذا العيش غير سوى وغير كاف؟ وفى هذه الحالة ماذا يبقى لك لتفعله في هذه الدنيا؟

لم يمل ديستويفسكي من معاودة طرح السؤال حتى آذان الفجر، ولما لم يظفر مني بجواب غادرني لينام، أما أنا فواصلت صحوي وحيدا.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(35)

قال شريف:

- حميد أناني لا يحب إلا نفسه.

صحح فايز:

- أنا أعرفه قبل أن يعمل معنا، حميد لا يحب أحدا حتى نفسه.

لاماني لأني دعوته لمجالستنا في بات مان، قالا :

- أنت مثل الجميع لا تحبه، فضلا عن أن معرفتك به سطحية فلماذا دعوته؟.

ضحك شريف:

- عموما إستحمل طلباته

آسر ناوله لي الشيشة ليتفرغ لي:

- أبو علاء قدها وقدود، إعمل حسابك على لفتين سندوتشات وعشرين حجر شيشة تفاح، غير البيرة والشاي والقهوة، وبعد ما

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

يخلص على كل ده لا يمكن يقوم قبل ما يحبس بعلبتين زبادي. يعني استعد يا حلو لخراب بيت أهلك.

تحدثوا كثيرا عن نهمه، وإفراطه في الطعام والشراب خاصة إذا وجد من يدفع له. لذا لم ألح في العزومة عليه حينما حضر، وهو لم يكن محتاجا لدعوة من أحد، لم يطل صبره على إهمالنا له، انتزع لي الشيشة من يد آسر:

- خلي عندك شوية من الأحمر ومتشدش لوحدك.

لا أدري لم تذكرت صديقي اللدود السابق عصام سليم.

ترك آسر الشيشة واستدعى النادل ليغير حجر الشيشة. لم يضيع حميد الفرصة:

- قهوة دوبل سكر زيادة على حساب الأستاذ.

سحب نفسا عميقا فتوهج حجر الشيشة، أخرج دخانه في مواجهتي فأشحت بوجهي لتفادي الدخان:

- فايز قال لي إنك مفتون بيوسف إدريس

أومأت مؤكدا فواصل:

- ما استغربتش، اللي لسه بيسمع ثومة وحليم أكيد ما يقراش غير محفوظ وإدريس، أتمني تكون إنتبهت إن ناس تانيين تجاوزوا المرحلة دي بمسافات.

تحدث طويلا عن إنجازه الشخصي في تطوير فن القص وتجاوزه لمن سبقوه. ذكرته بأني واحد من جيله، وأن حلم

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

تجاوز إدريس ومحفوظ حلم مشروع لكنه يتحقق بالإبداع وليس بالإدعاء أو بالانتقاص من قدر الرواد الذين مهدوا لنا الطريق.

سألنى مقاطعا:

- ألم تقرأ لي؟

- قرأت مجموعتيك القصصيتين.

إرتسمت على شفتيه الابتسامة اللزجة التي أكرهها :

- أحقا قرأت؟

وهززت رأسي مؤكدا.

- فما رأيك؟

- أقاصيصك تفرط في الاحتفاء بالجسد، وكل النساء لديك امرأة واحدة، لكن لم أفهم سر ولعك بالجوارب السوداء، نساء أقاصيصك شقراوات دائما، يمارسن الجنس وهن متجردات من كل شيىء إلا الجوارب السوداء، لم أفهم لماذا يبقين عليها دائما؟

- لأن لا قدرة لديك على التأويل. لكن نقادي تجاوزوا ملاحظتك إلى تأويلها.

ألم تقرأ دراسة الدكتور... الدكتور ... (شد من الشيشة نفسا غليظا ثم أخرج الدخان كثيفا وهو يتمطى) الدكتور .... ياآآآآآآه ... إسمه ضاع من دماغى، عموما الدراسة لا تزال في جيبى (أعاد شد نفس ثم ترك الشيشة باحثا في جيوب الجاكيت) وجدتها.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

ضاحكه آسر:

- لقيت إيه يا أرشميدس

أخرج مظروفا أزرق اللون، فتحه فاردا قصاصة من صفحة جريدة وشرع في القراءة:

- ... وأرى أن القاص في المجموعة الأولي لم يعرف إلا العذراوات وبالتالي كانت ممارساته سطحية وغير مكتملة وذلك دليل على نقص معرفته بالعالم، وهو الأمر الذي اختلف في المجموعة الثانية فتنوعت النسوة بتنوع معارفه، ولعل خبرة القاص بالحياة، تلك الخبرة التي لم تكن متاحة له وقت إبداع قصص المجموعة الأولى كانت سببا في تعلق النساء عنده بالجوارب، فعدم خلعها رغم التجرد من كل شيء دليل على أن ثمة شيىء بداخل كل واحدة منهن يرفض التورط في علاقات غير شرعية فأبقى على شيء ما، شيء يشبه ورقة توت أبقين عليها حتى في غير موضع العفة، أما عن اللون الأسود للجوارب فهو لون الحياة المرة التي يحياها القاص ونسوة قصصه.

ضحك فايز كما لم يضحك من قبل:

- شايف التأويل يا أستاذ علاء، لسه قدامك كتير على ما توصل.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(36)

" بهت لهجومى العنيف فلم يستطع ردا، كشفته أمام جلسائه، نازعا ورقة التوت عنه.

سأله أحدهم عن سر احتفاظه بصورة المغنية الشابة، فطالبهم بأن يتأملوا ابتسامتها المبهرة، قال كلاما ليس فيها وليس كلامه، أعاد تسميع ما حفظه، والكلام المحفوظ قيل عن ابتسامة الموناليزا، بدا الكلام لجلسائه كلاما كبيرا لا يقوله إلا الأستاذ عصام سليم، انتشى بمديحهم فطمع في المزيد، قرأ عليهم قصيدة:

****

" انا ى أنا

الناس أنا

منشورات «ألف باء Alfyaa»

النيل أنا

ساعة يسيل يملا القنا

أنا جروح الروح ورعشة الصلا

أنا البكا والصمت والغنا

لبحتى يحن الحجر

بنفحتى يحيا الشجر

ويلين

ضنين القلب

وتنام الوحشة في الفلا

والناى أنا

حنان أنا

دا أنا

هسيس النسمة

همس السنبلة" .

****

حقيقة كان إلقاؤه للقصيدة مميزا، قاطعوه بالتصفيق وطالبوه بالإعادة، زادت نشوته وتهدج صوته، غافلتهم وبحثت في رف الكتب عن الديوان

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الذي استعاره عصام سليم مني ولم يرده لي، كان ينوي حفظ قصائده ليكتسب بها مكانة ترضيه، قررت أن أنزع عنه ورقة التوت، عريته بقسوة، فتحت الديوان على القصيدة، حاولت إكمالها لكنه قاطعني بحدة، استفزني فواصلت تعريته:

- لو سمعك عم سيد كان شكرك بشدة لأنك ألقيت قصيدته كويس

- سيد مين؟

- سيد حجاب الشاعر اللي قريت قصيدته.

****

ألجمتهم المفاجأة، أريتهم القصيدة مطبوعة في الديوان وقلت أن مجلة هنا على الرف فيها ما قاله صديقنا من كلام كبير عن ابتسامة المغنية البلهاء، جففت عرقا غزيرا كسا جبهتي، وشعرت بزهو من أدرك ثأره، فقد عريته معلنا انتهاء صداقة خانها، فحينما بحت له كصديق عن معاناتي قبل فسخ خطوبتي لم يصن سرى، أذاعه مصحوبا بتعليقات ساخرة تنال مني. ولما شاعت سخريته لامني صديقي - السابق أيضا - شقيق سعاد الأولى، صارحني

منشورات «ألف باء AlfYaa»

بأن عصام وبخه لموافقته على خطبتي لأخته، وأضاف بأن سخرية عصام منى قديمة، حتى قبل أن أخطب سعاد، فهو يراني مجرد دودة كتب، دودة تسعى بين الصفحات لأنها لا تجد مجالا غيره للسعي، رأى بأني ليس لي لا في النساء ولا في الحياة بحسب التعبير المنقول لي، وأضاف أن فشلي في معرفة الدنيا جعلني أعيش في شرنقة من صنع خيالي، فالخيال يستطيع تزويجي بالحور العين بينما أي فتاة حقيقية تريد الزواج من رجل حقيقي يملأ عينيها.

لذا فلم أكن ساديا في تصرفي الفظ معه، فقط كنت أدرك ثأري معلنا موت صداقة سبق أن اغتالها هو" .

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(37)

تأخرت في طريق عودتي من القرية، فبدأ الاجتماع الأسبوعي بدوني، دعتهم ثندث عقب رنين جرس المدير، اقترح فايز تأجيل الاجتماع لساعة ليتيح لي فرصة الحضور، فاستهل المدير الاجتماع بندوة عني غطت وقائعها ونقلتها لى سعاد الثانية، كما ألمحت لي ثندث ببعض ما دار فيها بشأني.

قال المدير إن مشكلته الأولي معي تمثلت في إيقاعي البطىء، وأنه يتحمل ذلك فقط لأسباب إنسانية، لكن مشكلتي غير الإنسانية تتمثل في افتقادي للبوصلة التي تحدد لي الاتجاه الصحيح، فايز وسعاد الثانية حاولا الدفاع عني لكن دوي الجرس بإلحاح أسكتهما، فأضاف المدير بأن أكثر ما يغيظه مني هو حرصي على أن يكون لي رأي في كل شيء، وموقف من أي شيء، مع أني - وبنص كلامه - لا أعرف ولا أفهم أي شيء. فهو يراني مجرد قارئ رومانسي ذو نزعة طفولية بلهاء.

أدهشني أن يوافقه آسر، أن يراني هكذا. وأدهشني أكثر أن

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

يحول مذمتي لنكتة:

- والغريب يا ريس إنه مريض بالنجومية مع إن نجمه منطفئ أصلا.

لم يضحك للنكتة سواهما: آسر والمدير، نظر المدير لثندث الواجمة فابتسمت، والمفاجأة أن شريف وبخ آسر مؤكدا على أني دافعت عنه في موقف مشابه فضلا عن لم يسبق أن اغتبت أحدا:

- يا جماعة الرجل في حاله، ما بيتكلمش على حد وظننته صديقك يا آسر.

- موافقك إن ذاته ممكن تكون متضخمة شوية، أو إحساسه بها مبالغ فيه، لكنك مثله يا آسر، بل هو غالبا ما يداري تضخم ذاته فيعاني أما أنت فلا تداري وتتركنا نحن نعاني.

فايز نبه المدير لفوات الوقت، فانتقل للبند الثاني، خصصه لهجاء حميد، اتهمه بالجاسوسية وأنه التحق بالمكتب لينقل التجربة وأخبارها للمنافسين، أراد اختراقنا ليفسد تجربتنا الناجحة، أكد على أن حدسه جعله لا يطمئن إلى حميد و يرتاب فيه من اللحظة الأولى، لكن منه لله ذلك الصديق الذي خدعني وأوقعني فيه.

مع قوله هذه الجملة تصادف وصولي واللحاق بالمجتمعين، تسائلت هامسا فتبسم فايز وكتب لي: "حميد مشي بعد ما قبض، هيموت إنه ملحقش يخصم منه حاجة".

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

هاجمني المدير بضراوة:

- والنبى يا عم الحاج كفاية متابعة معارض، موضوعات الفن التشكيلى مبتجبش همها، وبلاش تكتب تاني في السياسة، موضوعك عن ذكرى ثورة 23 يوليو محذوف من كشف إنتاجك وتكاليف إرساله مخصومة عليك.

أومأت مؤكدا عدم اعتراضي، فكافأني بنصيحة غالية:

- لا تكن ضد الجميع حتى لا يتوحد الجميع ضدك.

- لست ضد أحد.

- لا تقاطعني، قد لا تكون ضد أحد، لكنك لست مع أحد، لذلك يراك الجميع ضده، إسمعنى يمكن أن تكون ضد الجميع ولا يشعر بك أحد، هذا يحتاج إلى حرفة لا تتقنها، وعليك ألا تعلن مواقفك قبل إتقان حرفة إعلانها بشكل آمن.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(38)

لم يجد الطبيب تفسيرا لعدم استجابة ضغط دمى المرتفع للمخفضات، أقترح تغيير العقاقير التي أتجرعها أكثر من مرة يوميا، أما عن ساقي السليمة وتورماتها فنصح باستشارة ثلاثة أطباء، فبالإضافة لطبيب العظام لابد من مختص في المخ والأعصاب لمعرفة سبب التنميل الدائم فيها حتى خلال السير، أما الورم الذي ينفخ رجل البنطلون ويكاد يمزقها فيحتاج لإخصائى شاطر في الأوعية الدموية.

أقلقني آسر، بتحذيره من أن ساقي السليمة ترزح تحت تهديد جلطة، أما فايز فكان تشخيصه مختلفا:

- كلنا مرضى، ورغم اختلاف أمراضنا إلا أن علاجنا واحد، لا بد لنا من استئصال أبوجلجل حتى ندرك الشفاء.

رأيناه يمزق الورق ويرمى بالقلم، أسرع بمغادرة الحجرة صائحا:

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- كفاية تعبت، كفاية بقى، لازم أخف وأرتاح.

اقتحم مكتب المدير، المفاجأة ألجأته للجرس، خطفه منه فايز، ألقى به بعيدا:

- جرسك هو سبب الطنين الدائم في أذني، أنت الصداع الذي يفتك برأسي.

دخلت سندس مسرعة، ردت الجرس للمدير الذي أخرسته المفاجأة، أخفى ارتعاش يديه بدسهما في جيب الجاكيت، فايز واصل صراخه:

- استمراري معك هو الانتحار، إرحمني من كابوسك ودعني أعيش.

قالها فايز وجرى مغادرا المكتب، لم يحاول أحد إيقافه، أخرج المدير يديه من جيبي الجاكيت، أشار باتجاه الباب الذي أغلقه فايز خلفه بعنف:

- سيبوه يغور، مش عاوزه عندي، أنا أصلا كنت ناوي أطرده.

زفر وظل يحدق فينا، بدا وكأنه فوجئ بوقوفنا نرقب ثورة فايز، فك الكرافتة، أشار لنا أن نعود إلى مكاتبنا، ولما سألته تندث إن كان يريد شيئا خرج صوته واهنا مهزوما:

- أخرجي وإقفلي الباب.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(39)

لم أجد في نفسي رغبة في العودة لحجرة لا ينتظرني فيها أحد.

اعتدت أكل المطاعم وأطلت الجلوس بالمقهى، أشاهد التليفزيون والمارة، لكن الملل دفعني للعودة، لم تكن دنيا جالسة بباب حجرتها كالعادة، انتبهت فجأة إلى أنها لم تنجب بعد، حبل الغسيل بين حجرتينا والسلم لا يحوي إلا ملابسها هى وحمدي، ملاءة سريرها المنشورة صنعت ستارا أمام باب حجرتي.

أزحت الستار ودخلت، استلقيت على الفراش لمدة طويلة دون أن أغير ملابسي، لم أنهض إلا بعد أن طرقت دنيا الباب:

- وأنا ألم الغسيل لقيت القفل مفتوح فعرفت انك هنا.

- وحشتك؟

- جيت إمتى؟

- بجد وحشتك؟

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- لا وحشتني ولا حاجة بس ما حستش بك وانت طالع السلم.

- قصدك إن قلبك مادقش لرجوعي.

- لا ياخويا اللى دق عليك واحد طويل بنظارة غامقة وساب لك جواب.

أخرجت من صدرها ورقة مثنية، فردتها وقرأت.كانت خطابا من فايز، لم يجد عملا بعد لكن الصداع والطنين غادراه، زوجته فاجأته بتشجيعها له على الصمود ورفض محاولات أبوجلجل لاستعادته. أعرب عن سعادته لأن القصيدة عاودته، صحا اليوم ليجدها في انتظاره، فقط حملها من فوق الوسادة وثبتها على سطح الورقة، أعترف بأنها ليست أفضل قصائده، لكنه سعيد بها، أكد على أنه كسب الرهان، وأن لا حياة لنا ولا إبداع تحت وطأة الجلجل وصاحبه.

إبتسمت وكانت دنيا جالسة فوق كرتونة كتب تتابع ابتسامتي، ويكاد فضولها يدفعها لتسألني، وجدتني أثرثر معها حاكيا كل الحكاية. لم يبد عليها أنها فهمت معاناة فايز أو تعاطفت معه، لكنها نصحتنى:

- هو حر في نفسه المهم ما تعملش زيه، إياك تسيب شغلك.

قلت لها:

- ماشي بشرط تعملي لي الشاي بإيديك الحلوين.

نهضت لتعد الشاي، بينما بحثت في كرتونة الشرائط عن أغاني لعبدالحليم حافظ، أعرف أن دنيا تحبه، وهى لا تعرف أنه

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

يؤرخ لعلاقتي مع ضحى. كانت زميلتى بالجامعة أودعتها قلبى، لكن الأيام شرخته فانسربت ضحى من بين الشروخ. رغم كل العمر الذي مضى، وتعرفي على أكثر من فتاة، وخطبتي لسعاد الأولى وتوهمي لزمن طويل أنى أحببتها إلا أن أغانى عبدالحليم تفلح دائما في إثارة حنيني لضحى.

يغنى عبدالحليم، يمر الشريط ليأتي بأغنية "راح"، تورطني الأغنية وتحضر ضحى فأحكي عنها لدنيا، تسمعني وهى تشرب الشاي، تهز رأسها بأسى حينما أخبرتها بأن هذه الأغنية أبكتني يوما، حينما عدت لحجرتي بالمدينة الجامعية مصدوما عقب معرفتي بنبأ زواج ضحى وسفرها مع زوجها الطبيب إلى سلطنة عمان.

عيناي التمعتا بحزن شفيف، اقتربت مني دنيا، ربتت بحنو على كتفي محاولة التسرية عني بطريقتها الخاصة في الكلام التي تكرر بعض الكلمات للتأكيد على المعنى الذي تقصده:

- كل شيء نصيب يا خويا.. ما تزعلش نفسك .. نصيبك مستنيك .. وزي ما قلت لك كل شيء نصيب.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(40)

تأخر شريف على غير العادة، المدير كلما إستشعر تأخره يسأل تندث:

- شريف ما قالش حاجة؟

- لا ما قالش

- غريبة مش عوايده.

يبدو أن شريف حكى لآسر عن خطته أو ألمح له عنها، فكان يبتسم كلما سأل المدير عنه. ثم يدس رأسه في كومة الأوراق المتناثرة على سطح مكتبه.

ولما حضر شريف واجهه المدير بتكشيرة غاضبة:

- لما تكون سيادتك ناوي تغيب إدينا خبر

- وهل غبت؟ أنا فقط تأخرت شوية.

- كان مفروض تتصل

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- انشغلت

- بإيه؟ ولا ده سر؟

- وصلت واحد صاحبي مسافر للمطار، كنت بودعه.

- إنت توصل حد للمطار، كده لله، لا يمكن تعملها

- ليه بس

- إنت تلف عداد قلمك بفوطة صفرة عشان توصل صاحبك المطار لا يمكن.

ضحكنا وواصل شريف:

- عمل الخير ما بيضعش

ضحكت سعاد الثانية مؤكدة:

- وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان

فانفعل المدير:

- وأنا مالي بإحسانه أنا يهمني شغلي وبس

أيده شريف:

- وأنا كمان يا ريس ما يهمنيش غير شغلي وبس

- مانا بقول كده، لا يمكن تلف قلمك بفوطة صفرا

- لفيته لعمل الخير وربنا كرمني

- ما حدش يقاطعه وإنت اختصر الحكاية

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- أنا وصلت نبيل مخصوص عشان أدفع له أجرة التاكسي لأنه بصراحة مأشفر، فربنا كرمني وعملت سبق صحفى في المطار. فجأة لقيت الدكتور أسامة الباز قدامي كان بيستقبل نبيل شعث اللي كان يا دوب لسه واصل

- يا سلام وهم طبعا أصحابك وحبايبك وخدوك بالأحضان

- نبيل شعث ما أعرفوش لكن الدكتور أسامة أعرفه، شفته في معارض وندوات غير إننا بنشترى جرايد ومجلات من فرشة واحدة.

- قلتها ألف مرة اللى عند تقاطع معرفش شارع إيه قريب من مكان إيه.

- صح ياريس هو المكان ده بالضبط

- قول المهم ومن غير هزار

- المهم معايا تصريحين عن جولة مفاوضات جديدة بين الفلسطسنيين وإسرائيل.

- ومضيع الوقت في حاجات وحكايات تافهة أقعد أكتبهم حالا

- كتبتهم وأنا في الطريق يا ريس.

عندئذ فهمنا أن شريف شرع في تنفيذ خطة الانتقام، بينما المدير - الذي ابتلع الطعم بسهولة غير متوقعة - تناول الورقتين بلهفة واعدا شريف بمكافأة سخية، ورن الجرس فأتت ثندث مهرولة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

صاح هذه المرة دون أن يقرع الجرس:

- الورقتين دول يتكتبوا على المكنة حالا، كل ورقة لوحدها، موضوعين خدي بالك كويس، وخلال دقايق يكونوا وصلوا كل الجرايد اللي بنبعت لها شغل.

- أوامرك يافندم

- سندس ماتنسيش التصريحات أدلوا بها لي أنا شخصيا، لازم كلامنا يكون له مصداقية، مش معقول ناس مهمين زي الباز وشعث يدلوا بتصريحات مهمة لمحرر صغير محدش يعرفه. هلفوت زي شريف إزاي يتقال له تصريحات من مسئولين كبار

أبتسم آسر:

- معك حق يافندم لازم التصريح يكون لحضرتك شخصيا وشريف ما تفرقش معاه، هو ما يهموش إلا المكافأة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(41)

فاجأتنى دنيا بطلبها كتابا لتقرأه. أرادت "قصة حلوة أتسلى بها"، أشرت إلى رف يعلو السرير يضم بعض الكتب التي حررتها من أسر الكراتين. فجلست على حافة السرير تقرأ العناوين:

- الحب في زمن الكوليرا، الحب وشياطين أخرى.. لا ياخويا أنا عاوزة حب وبس من غير كوليرا ولا شياطين، وإيه ده كمان .. الطفل من حقول الكاكاو، قرفة وقرنفل، كاتب ده يا خويا ولا عطار..

- الحقيقة عطار عنده توابل وحاجات تانية حراقة.

ناولتها "دونا فلورا وزوجيها":

- إقريها ليست قرفة ستجدينها شطة حارة.

ردت الجزء الثانى، قلبت في الجزء الأول، توقفت عند صفحة بالصدفة قرأت فيها ما جعلها تغلق الكتاب قائلة:

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- شكلك شقي وأنا مبحبش الشقاوة

رددت مقلدا الممثل الشهير:

- أنا غلباااان

نهضت ضاحكة، تأملت بشبق جسدها من الخلف (هل أحست بنظراتى؟) توقفت عند الباب قائلة:

- أفضل ما فيك أن لسانك ليس بجرأة عينيك.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(42)

الغضب المجنون للمدير جعلني أدرك كم أوجعه انتقام شريف:

- إبن الكلب خرب بيتي، هقتله، هسجنه، لازم أدمره، آه يا دماغى، هايجيني جلطة بسببك يا شريف يا بن الكلب، أنا عملت فيه إيه، لميته من القعدة على القهاوي وعملت منه صحفي، بيكسب من مكتبي قد ماهية اتنين مديرين وفي الآخر يعض إيدي بدل ما يبوسها.

لم أفهم منه شيئا محددا، ولم أعرف كيف إنتقم منه شريف لكن آسر وثندث كل منها حكى عن طرف خيط.

شريف قاطع المكتب بعد أن أسلمه التصريحين المنسوبين للباز وشعث، كان يعلم أن جريدة واحدة على الأقل ستنشرهما في اليوم التالي، وبعد النشر بسويعات سينال المدير جزاءه، وهو ما حدث بالضبط.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الصحف التي لم تنشر واكتشفت زيف التصريحين وبخته وغرمته، والصحيفة التي نشرت شكته رسميا وأنهت التعامل معه، والأهم أنها لم تعطه مستحقاته لديها 4150 دولار (المدير ظل يردد الرقم نادبا وهو يقسم أن غلق المكتب لن يؤثر عليه، فلديه ما يكفيه، لكن ما يهمه الغلابة اللى بياكلوا عيش من ورا المكتب، يروحوا فين أما المكتب يقفل)، ثندث أخبرتنى أن جهة عليا إستدعت المدير بعد شكوى الصحيفة وأنه لولا وساطات وإعتذارات لرموه ورا الشمس، تأثرت ثندث وهى تحكي عن حال المدير حين عودته من الجهة التي إستدعته بسيارة سوداء مغلقة (الطيب اللى بعمله يا سندس قعد لي، ملعوب الواد الخبيث غير الشريف كان ممكن يدمرني، لولا طيبة قلب الدكتور الباز، لو جت مع حد غيره مكنتش خرجت يا سندس، ولا كنت شفت الشمس تاني).

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(43)

كرهت المكتب واختلاق حوادث القتل فطلبت أجازة، رفض المدير فقلت أنى لن أحضر لمدة أسبوع سواء وافق أم لم يوافق، خبط المكتب بيديه ثم تذكر الجرس فراح بقرعه بغيظ قائلا:

- أنا مش هفية أنا أقدر أأدبكم وأقطع عيشكم كلكم.

شعرت بالإهانة وبأنه يستضعفنى فقذفته بما في يدى من أوراق وكانت فارغة لم تزل، أغضبه ما فعلت فشتمني، رفعت العكاز ناويا ضربه لكنه تفادى الضربة، وقبل أن أكررها إحتضنني آسر، وفر المدير هاربا وهو يجلجل بالجرس.

غادرت المكتب بينما اللمبة الحمراء فوق باب غرفته مضاءة، ثندث شدت على يدي وأنا أغادر، وكأنها تودعني، كانت تدرك أنها مرتي الأخيرة في المكتب.

وفي حجرتي رميت بجسدي المنهك فوق الفراش، وضعت في الكاسيت الشريط الذي أهدتنيه سعاد الثانية، أغمضت عيني مستحضرا ثندث، توالت أمام عيني المغلقتين صورها منذ أول لقاء لها وحتى ضغطتها الأخيرة على يدي، بينما تركت أذناي

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

لمحمد منير وادا لو أصرخ معه :

- نهر مابلش حتى الريق

وآآآآآآآه يا براح عمال بيضيق

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(44)

واصلت ساقي السليمة تمردها، زاد تورمها فأجبرتني على أن ألزم الحجرة، دنيا أبدت تعاطفا كبيرا معي، تغسل ملابسي وتنظف الحجرة وتعد الطعام، وتذكرني بمواعيد العلاج، شكت لي من حالها مع حمدي، وحكت عن شوقها لطفل تلده وترضعه، وسمحت لي بالاستناد إليها حال ذهابي للحمام.

ولما زارتني سعاد الثانية وثندث قدمت لهما الشاي والكيك. أكدت سعاد الثانية على أن المكتب لا يستغني عني، وأسرت ثندث لي بأن المدير كلفها بأن تقنعني لأعود، أكدت على طيبته التي أنسته قذفي له بالأوراق، وأنه لو علم بمرضي لزارني. وبعد انصرافهما قالت دنيا:

- البنت النحيفة السمرة غلبانة عن زميلتها المليانة
- على فكرة قبل ما مخك يروح لبعيد الاتنين مجوزين
- باين عليهم لكن الرفيعة (تقصد سعاد الثانية) طيبة أما

منشورات «ألف باء AlfYaa»

التانية فعينها منك.

- لكن أنا عيني منك إنت يا جميل.

انفلتت بعد القبلة الأولى. قالت وقد غلبتها عبراتها:

- إخص عليك إنت فاكرني إيه، انا بعتبرك أخ. أنا مش داخلة هنا تاني. أشعرتني بالخجل وخفت أن تقاطعنى، لكنها بعد ساعة عادت لتسألني إن كنت أحتاج شيئا.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(45)

عادتني ثندث ثانية، هذه المرة أتت بمفردها، دنيا قدمت الشاي بالنعناع وانصرفت. طالبتني ثندث بعدم الاستسلام للمرض، أكدت لها على أني لست مريضا، ولكن أحتاج لقليل من العزلة. ردت بمقطع من فيلم قديم:

- الجنة من غير ناث ما تنداث

أحب لثغتها الشهية، ولولا معرفتي بأنها تضيق بالتعليق على نطقها للسين لما فوتت فرصة التعقيب.

- لا أقصد اعتزال الناس لكن أحتاج بعض الوقت ليستريح الجسد المنهك والروح التي امتلأت بالقروح.

قالت أنها لا تفهم كلامي، اقترحت أن أخرج إلى أي مكان بعيدا عن هذه الحجرة الخانقة، والجارة ذات العيون المتطفلة، قلت لن أخرج إلا معك فوافقت.

التقينا عند النهر، وقصدنا بعده أماكن أخرى، حدثتها عن

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الحاكم بأمر الله، لم تكن تعرف عنه إلا منعه للملوخية، أحبته من أجل ذلك، فزوجها زهقها من الملوخية وطشتها، تعجبت ثندث لأني قضيت عامين مع الحاكم بأمر الله بغرض جمع المادة اللازمة لرواية لم أخط منها حرفا بعد، سألتني لو لم أكن كاتبا فأي شيء آخر أتمنى أن أكونه، على الفور أجبت:

- رسام ولا شيء آخر .

- إشمعنى؟

- لأرسم جسدك الجميل عاريا.

ادعت الغضب لكنها بسرعة قبلت محاولتي للصلح فدعوتها لدخول السينما، اختارت فيلما كوميديا، ولما حاولت استغلال ظلام السينما رفضت هامسة:

- أنا مش بتاعة كده، أنا بعزك صحيح لكن مش عشان كده.

وبعد انتهاء الفيلم الذي أضحكها كثيرا رفضت قبول دعوتي على الغداء، لن تجالسني في مكان عام، عرضت أن يكون الغداء في حجرتي فقالت أنها لا ترتاح لنظرات جارتي. عدت وحيدا لأجد دنيا تجلس وحدها خارج الغرفة، تسند ظهرها إلى الحائط لصق باب حجرتي، ألقيت التحية فردت هامسة ورد زوجها داعيا لشرب الشاي.

اعتذرت بأني متعب وسأرتاح.دنيا التي حملت عنى الكيس بما فيه تبعتني إلى داخل الحجرة، كانت تشاهد فيلم شباب امرأة لكن زوجها غير المحطة ليشاهد مباراة للأهلي، ولما سمعته

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

يهلل ويصفق لإحراز فريقه المفضل هدفا أدركت انشغاله عنا، فأغلقت الباب محتضنا دنيا، لكنها انفلتت صامتة معاودة الجلوس لصق الحائط.

منشورات «ألف باء AlfYaa»

(46)

استجبت لوساطة ثندث وعدت للمكتب، اعتذر المدير لأنه لم يعدني في مرضي، ثم أعتذر ثانية لأن الأجازة التي منحتها لنفسي ستكون بدون أجر، فالخسائر التي سببها له الملعون شريف قصمت ظهره، أكد أنه تقديرا منه لظروفي لن يطالبني بالحضور يوميا. يكفيه أن أحضر مرة واحدة فقط في الأسبوع، وأنجز ما نتفق عليه من أعمال في بيتي. والواسطة بيننا سندس تبلغني بالتكليفات وتتسلم ما أنجزه.

ولما وافقت أعطاني كومة من الموضوعات القديمة، حاول إغرائي بأن ذلك أسهل من الذهاب للمصادر أو محادثتهم تليفونيا، كما أن أغلب الموضوعات داخل الملف لي وقد سبق أن أجريت أنا الاتصالات والحوارات، يعني مجرد مقدمة جديدة ونقلب الموضوع، وقبل أن أغادره أكد على أن الحساب سيختلف قلت كيف؟ فضحك موضحا الخمسة بإثنين، معك في المظروف عشرون موضوعا وحسابك سيكون عن ثمانية.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

أعرف أن المساومة قد تزيد الثمانية إلى عشرة، لكن عفت الكلام معه. صامتا حملت المظروف المنتفخ وخرجت، فوجدت السلم مزدحما، فايز كان غاضبا، شريف بدا وكأنه لم يرني، سعاد الأولى وأبيها الشيخ أشاحا بوجهيهما بعيدا عني، وضحى لم تعرفني، أنكرت ملامحي، أبي وأخي المسافر وجدي وقفوا متجاورين على نفس درجة السلم. الحاكم بأمر الله رأيته راكبا حماره، ماركيز يتأبط أمادو ويضحكان، وكثيرون ملأوا كل الدرجات، صخبهم أزعجني، يرتفع ضغط دمي، يدركني الصداع مصحوبا بدوار، لا أستطيع الاتكاء على سور السلم، فيد تحمل الحقيبة وكومة الأوراق، بينما الأخرى تقبض على العكاز.

يزداد الدوار. يخنقني الزحام.

يخطئ العكاز موضعه. أطأ به الفراغ فيهوى بى. تسلمني درجات السلم بعضها لبعض. تنفلت الأوراق من المظروف، تتطاير حولي، تلاحقني على درجات السلم، وحينما يسكن جسدي عند الدرجة الأخيرة، تسكن فوقي الأوراق المتطايرة. تغطيني.

أحمد رجب شلتوت

أبوالنمرس

من نوفمبر1997 إلى أغسطس 1998

منشورات «ألف باء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

زوال وأزمات العصر

دراسة: حمد جبريل

يجد جارثيا ماركيث في كتابة القصة القصيرة ما يشبه صب الأسمنت المسلح. أما كتابة الرواية فهي عنده أشبه ببناء الآجر. بمعنى أنه إذا لم تكشف القصة القصيرة عن جدتها وجديتها في المحاولة الأولى، فمن الأوفق أن يتخلى المبدع عن كتابتها. فتمزيق الأصول هنا تصرف مطلوب، يجب ألا يخالطه تردد أو إشفاق على الصفحات التي جرى تسويدها. أما الرواية فإنه من الممكن للمبدع أن يعود إلى نقطة البداية، إلى الكلمة الأولى في الجملة الأولى، في السطر الأول، يبدأ الكتابة الأصدق تعبيرا، والأصدق فنا، والرواية - بعامة - قد تحتفي بما تعتبره القصة القصيرة زيادة أو حشوا.

ولأني تعرفت منذ فترة طويلة - نسبيا - إلى أحمد رجب شلتوت، فقد أدركت - منذ السطر الأول - أن الفنان يمزج بين السيرة الذاتية والسرد الروائي وفنية القصة القصيرة. الراوي

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

هنا، يتحدث عن ظروفه الصحية القاسية، وهي الظروف نفسها التي يعانيها شلتوت، فتشكل عائقا حتى على أدائه اليومي: العكاز في يده، سيره، صعوده على السلم، ركوبه المواصلات العامة.. لكنه يجاوز - أو يحاول مجاوزة - ذلك كله ليمارس حياته بصورة طبيعية.

العمل الإبداعي بعامة يبين عن ملمح - أو ملامح - من شخصية كاتبه. لا تعمد، وإنما وجود تفرضه الضرورة الفنية على المشهد الإبداعي. قد يتحقق في جملة حوار أو رسم شخصية، أو مكان أو حتى تكوينات جسدية، أو نتف من سيرة الفنان، لكن العمل في النهاية يحمل حيزا كبيرا - أو صغيرا - من سيرة الفنان الحياتية أو الفنية.

أحمد رجب شلتوت يضع أيدينا - في روايته القصيرة الجميلة - على العديد من مشكلاتنا الاجتماعية، وما يتصل بالشباب على نحو خاص. ثم مشكلات البطالة، وأزمة العلاقة بين الجنسين، والوصولية والانتهازية، وأزمة الانتماء، والصحافة الصفراء التي تعتمد على التخيل والإثارة، وتلاشي المواهب الحقيقية في البحث عن لقمة العيش.

فضاء الرواية يتحدد - غالبا - في مكتب صحفي، والتسمية تجمل الكثير من التجاوز، فعمل المكتب يختلف تماما عن العمل الصحفي بالصورة التي عهدناها، المقال والخبر والتحقيق والصورة والحادثة والأقسام المتخصصة. إن عمله يكاد يقتصر على كتابة المواد المفبركة، هي حوادث فيها من الخيال الإبداعي أكثر مما فيها من الواقع. مشكلة كل العاملين في المكتب - أو معظمهم - أنهم لا يفعلون ما يحبونه، فهم يحبون كتابة الشعر أو القصة، ولأن الأدب في بلادنا لا يؤكل عيشا، فهم يعملون بما يحتاج إلى الورق والأقلام ومعاناة الكتابة، حتى

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

لو كان ذلك مجرد حوادث مفبركة هي كل - أو جل - ما يطلبه صاحب المكتب ليضمنه تقاريره إلى الصحف العربية.

استلاب مهنة الصحافة لموهبة الأديب قضية قديمة متجددة، وقد تناولتها أقلام كثيرة على مستوى الإبداع، أو على مستوى الرأي والتباين في النظرة إلى تلك العلاقة بين ما إذا كانت الصحافة رديفا لموهبة الأديب، تتيح له المعايشة واكتساب التجربة والقراءة وصقل الموهبة، وبين ما إذا كانت تجبره على ما لم تؤهله له موهبته الإبداعية. وقد تكسب الصحافة صحفيا متميزا لكن الأدب يخسر - في الوقت نفسه - أديبا متميزا، والأمثلة التي حاولت حل المعادلة الصعبة - خارج الحدود - نجدها في هيمنجواي وجارثيا ماركيث وإيزابيل الليندى وغيرهم، وفى داخل الحدود فالأمثلة قليلة أيضا - وإن أنكر الكثيرون ابتلاع الصحافة لمواهبهم، أو إخضاعهم لسطوتها. ولعلى أشير هنا إلى التلخيص التبريري الذي يصف به شريف - في الرواية - تحوله من كتابة الشعر والقصة إلى كتابة الموضوعات الصحفية الساذجة بأن: "الكاتب هو من يكتب" متناسيا أن الكتابة الحقيقية ليست هي كل ما يكتب.

***

واللافت أن الحب في الرواية يقتصر على البعد الحسي، ربما انعكاسا لأزمات العصر، فلا علاقات وجدانية من أي نوع، أنا أحب، فالحب إذا - كما أتصوره وأريده - لن يزيد عن علاقة حسية، طارئة، أو مسامرة. فالقلب لا ينبض بأي معنى، والعين تتحدد رؤيتها في قسمات الجسد، وما تعد به من لحظات متعة.

ونتذكر السيد أحمد عبد الجواد وياسين في "الثلاثية" لنجيب محفوظ، وحسنين في "بداية ونهاية"، والشاب في "الحب فوق

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

هضبة الهرم"، هؤلاء الذين اقتصر معنى الحب في حياتهم على الجنس، وما يتبعه من لذة حسية.

ربما جاء إلحاح الفنان على ذلك البعد الوحيد في العلاقة بين الجنسين، تعبيرا عن أزمة حقيقية، يهمل - تفاقمها وعجزها المؤكد عن التنفيس - أبعاد أخرى. (يعترف الراوي بأنه جرب متعة الجنس في الأحلام فقط، ويقول إن نزواته محلها القلب). والغريب أن الراوي الذي تبين أزمته الجنسية من خلال السرد، هو الذي عاب على زميله حميد، أن قصصه لا تحتفي إلا بالجسد، وأن كل النساء عنده امرأة واحدة لم يصورها إلا على الفراش أو في الطريق إليه.

***

هذه هي الرواية الأولى لأحمد رجب شلتوت بعد مجموعتين قصصيتين، من السهل أن نتعرف في " زوال" إلى الكثير من خصائص القصة القصيرة، سواء على مستوى لغة السرد، أو على مستوى التقنية. الرواية تنبض منذ سطورها الأولى - شأن القصة القصيرة - بالتكثيف والتوتر، والعلاقات تبين عن تشابكاتها وتقاطعاتها وتنافرها، بما يشكل روافد صغيرة، تبدأ وتنتهي في نهر الرواية. وعلى الرغم من قلة عدد صفحات الرواية، فقد أجاد الفنان - بفرشاة سريعة، واثقة - رسم العديد من التكوينات التي تعرفنا من خلالها على القرية المصرية، بما فيها من قيم ومعتقدات وعادات وتقاليد. الغرابوة في رواية "الحرام" ليوسف إدريس يسمون في الرواية " الغيطانية" أي الذين يعملون بالأجر في الغيطان. وحياة الغجر تمثل عالما استثنائيا، ومغايرا، في الجماعة المصرية. ومن الأمراض الاجتماعية التي يشير إليها الفنان في روايته "حق المرأة في

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

التجمل منذ الخطوبة وإلى أن تلد أول أبنائها"، فتصبح بالأمومة عجوزا " لا تتجمل إلا في المناسبات أو في السر".

***

الفنان يصدر روايته بعبارتين للمغربي عبد القادر الشاوي، وللفرنسي روفسار، تلقيان بظلال قاتمة على العمل منذ بدايته، أو أن هذا هو ما يتوقعه قارئ الرواية. وإذا كانت القتامة تتخلل الرواية بالفعل، فإنها - أي الرواية - تحفل كذلك بمواقف الرفض والتحدي والمقاومة التي تمثل بعدا إيجابيا يصعب إهماله.

ثمة نصيحة لتشيكوف أن يبتعد الفنان عن وصف الحالات النفسية للشخصيات، ويحاول التعبير عن تلك الحالات من خلال ما يقومون به من تصرفات. وقد أجاد الفنان إضاءة الشخصيات من داخلها، فلم يسقط عليها ما قد لا يتفق مع البواعث التي يفرضها منطق الفن، منطق العمل الإبداعي، وليس منطق الفنان.

وكما يقول ميشيل بوتور فإن الإبداع مادة ما ترغب في الظهور، وبمعنى آخر: ليس الفنان هو الذي يصنع الرواية، بل الرواية هي التي تصنع نفسها بنفسها، وما الروائي سوى أداة إخراجها، ومولدها، ونحن نعرف مقدار ما يتطلبه ذلك من علم ومعرفة وصبر وأناة. وعلى الرغم من النهاية المأساوية للراوي، فإنها تحمل معنى الرفض، الثورة، المقاومة، حتى لو دفع المرء حياته دفاعا عما يرى أنه نبيل وصادق وحقيقي.

***

الكتابة السردية الرديئة - في تقديري - هي التي يمكن أن تروى في صفحة ما يمكن قوله في سطر أو بضعة أسطر. لا

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

أتفق مع إ. م. فورستر في قوله إن الرواية قصة نثرية طويلة، يجب ألا تقل عن خمسين ألف كلمة. فالرواية لا تأخذ سمتها من مجرد الشكل، ولا من عدد الصفحات. فعلى سبيل المثال كان بلزاك يكتب عمله الإبداعي في مساحات قليلة ثم يضيف للعمل - بتوالي البروفات - وكان يطلب بروفات كثيرة مما يضاعف من المساحة التي كان العمل الإبداعي عليها، فكان بلزاك يبدأ بالاختصار ثم يستوفى ما كتب. وهو عكس ما كان يفعله - وحتى الآن - كتاب آخرون مثل تولستوي الذي كتب "الحرب والسلام" في صفحات تزيد على الأربعين ألف صفحة ثم اختصرها إلى حوالي أربعة آلاف صفحة.

كما استغرق الإسبانى خيرونا أربع سنوات في كتابة روايته "مجبرون على الحياة" فبلغت أربعة آلاف صفحة، اختصرها - بالحذف والتنقيح - إلى سبعمائة صفحة فقط. وأعتقد أن ذلك هو التعامل الصحيح مع الكتابة الإبداعية. ولعلى أذكر بالمحصلة السلبية التي تحققت بالفصل الزائد الذي أضافه عبد القادر المازني لروايته " ثلاثة رجال وامرأة " فقد جاء الفصل أشبه بالزوائد القلمية، التي لم تكن الرواية في حاجة إليها.

واللافت في رواية " زوال" أن الكاتب لم تبهره غواية اللغة، لم يكتب العبارة لغير ضرورة، ولا لغير قيمة جمالية أو موضوعية، وإن كان مما ينبغي عليه أن يعنى بالمواقف التي تحتمل الإسهاب وإيراد التفاصيل التي قد تكون مهمة لتحقيق بانورامية المشهد الروائي.

ولعلى أتصور " شلتوت" قد جرى قلمه بالحذف في مسودة الرواية، حتى وصل بها إلى أقصى درجة من التكثيف قبل أن يحاول نشرها. لغة السرد لا تستهدف سوى التأثير بلغة مكثفة أشبه بضربات الفنان التشكيلي، حتى الملامح الظاهرة - أو

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الجوانية - للشخصيات، نتعرف إليها من خلال لغة قوامها الإيجاز والتكثيف. لمسات سريعة، واثقة، تومئ وتشير، فلا تنطلق في امتدادات ولا استطرادات، قد تحتملها الرواية، لكن تضيق بها القصة القصيرة. بحيث يمكن القول إن الفنان كتب روايته بفنيات القصة القصيرة، وبقدرات كاتب تميز في القصة القصيرة.

***

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

منشورات «ألف باء AlfYaa»

أحمد رجب شلتوت

مواليد 17 أبريل 1962، حاصل على بكالوريوس تجارة من جامعة القاهرة. عمل كبيراً للباحثين في وزارة الشباب والرياضة سابقاً، وأحيل إلى المعاش في 17 أبريل 2022. بدأ النشر في الصحف والمجلات منذ عام 1985، وعمل محرراً ثقافياً بوكالة الصحافة العربية من 1994 حتى 2001 ثم من 2016 حتى 2021، كما كان مسؤولاً عن القسم الثقافي بموقع الأزمة الإلكتروني من 2009 حتى 2012. نشر مقالاته في جريدة العرب اللندنية وجريدة القدس العربي والزوراء العراقية والصباح العراقية.

الجوائز والتكريمات

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

1. فاز بالمركز الأول في مسابقة جريدة الشعب للقصة القصيرة 1990
2. فاز بالمركز الأول في مسابقة نادى القصة للقصة القصيرة 1996
3. فاز بالمركز الثاني في مسابقة الهيئة العامة لقصور الثقافة للمسرحية الطويلة 1996
4. فاز بالمركز الثاني في مسابقة ساقية الصاوي في القصة القصيرة جدا عام 2009
5. فاز في مسابقة جمعية الأدباء في الرواية عام ،2009 ، وفي القصة القصيرة 2010
6. فاز في مسابقة إحسان عبد القدوس في الرواية عام 2010 عن رواية" حالة شجن"
7. كما فاز أكثر من مرة في مسابقات الهيئة العامة لقصور الثقافة ومسابقات وزارة الشباب في القصة القصيرة والمسرحية والبحث.

صدر له:

- **العائد إلى فرحانة**، مجموعة قصصية، وكالة الصحافة العربية 1996
- **السعار والشذى**، مجموعة قصصية 1997
- **دم العصفور**، مجموعة قصصية، الهيئة العامة لقصور الثقافة 2002
- **زوال**، رواية قصيرة، 2003

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- **العش للعصافير**، مجموعة قصصية للأطفال، كتب عربية 2005
- **بندق يجد الكنز**، مسرحية للأطفال 2005
- **مدارات روائية**، قراءات، 2018
- **الظل والقربان** مجموعة قصصية 2019
- **رشفات من النهر**، قراءات، وكالة الصحافة العربية 2019
- **الرواية فن البحث عن الإنسان**، قراءات، وكالة الصحافة العربية 2019
- **ربيع البنفسج قراءات في الرواية العربية**، وكالة الصحافة العربية 2020
- **فاتحة لصاحب المقام**، قصص قصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2020
- **حالة شجن**، رواية قصيرة، الدار الثقافية التونسية 2020 ، طبعة ثانية عن وكالة الصحافة العربية 2023
- **العزلة ليست هي الوحدة**، قراءات، وكالة الصحافة العربية 2021
- **حياة بين الرفوف**، قراءات، وكالة الصحافة العربية 2022
- **والرواية غواية**، قراءات، وكالة الصحافة العربية 2023
- **فاطمة لا ترقص التانجو**، مختارات قصصية، 2025 (فازت بجائزة اتحاد كتاب مصر للسرد القصصي عن عام 2025)
- **النهار والشجن إطلالات على عالم أسامة أنور عكاشة**، 2026

منشورات «ألف ياء AlfYaa»